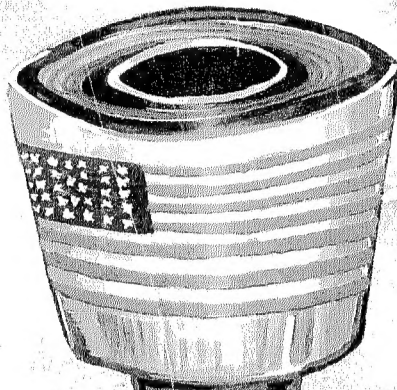


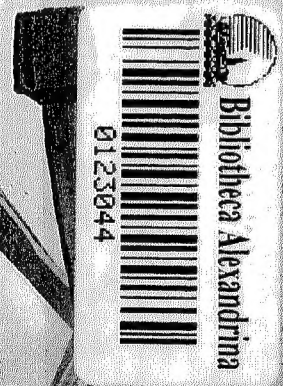
مجدى أحمد حسين

أزمة الخليج

بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان



الكتاب
٢٠٠٤



دار الشرق الأوسط

أزمة الخليج

بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان

مجدي أحمد حسين

دار الشرق الأوسط

تقديم

وسط طوفان من الاعلام المضلل . . غرق شعبنا خلال الشهور القليلة الماضية . . فيما عرف بأزمة الخليج .

واستخدمت في هذه الحملات الاعلامية كل وسائل غسيل المخ : أكاذيب . . شتائم ضد العرب والعروبة . . تمجيد في الغزوة الصليبية الجديدة . . وتمجيد في الغزاة الأمريكيين . . لم يحظ به أى غاز في التاريخ . .

إلا أن أخطر أسلحة هذه الحملات . . كان التستر بالدين . . ومحاولة استصدار فتاوى من بعض رجال الدين لتبرير الغزو الأمريكى . . والاستعانة بالمشركين .

وجرى اجترأ لامثيل له على نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة . . فكان لابد أن يصدر هذا الكتيب . . بمثابة كلمة حق . . نحاول أن ننير بها الطريق في الظلام الدامس . . وانتصاراً لأحكام ديننا الحنيف . . ومصير أمتنا العربية الإسلامية . . الذى سلمه بعض حكام العرب إلى أيدي بوش وحلفائه الصليبيين . . الذين لا يريدون إلا الشر لهذه الأمة . .

هذه الرسالة التى نستهدف بها وجه الله تعالى ليست إلا رجوعاً للأصول . . (القرآن والسنة) ومن خلال أمهات الكتب فى التفسير والسنة لنعيد الحقائق إلى نصابها . . ولنطبق هذه الأحكام على وقائع أزمة الخليج كما جرت وتجري أحداثها أمام أعيننا . .

لقد حاول المضللون أن يحصروا القضية فى نزاع كويتى - عراقى . . مع أن قدوم نصف مليون جندي أمريكى إلى أرض الجزيرة العربية . . جعل الصراع فى جوهره الآن صراعاً بين الأمة العربية - الإسلامية وبين أكبر حملة

ونود أن نشير في البداية إلى أن اللجوء للقرآن الكريم بصورة جزئية لتبرير موقف جزئي أمر مرفوض شرعاً فلا بُدَّ من أخذ القرآن ككل وبكل أحكامه المتعلقة بالموضوع ذاته . . ولا يمكن أن نتظر بعد أن يصدر الرئيس بوش قراراته ثم نبحث له في القرآن الكريم عن تفسير لهذه القرارات أو مشروعيتها لها . . فهذا والله أمر عجيب . وإذا كنا سنحتكم للقرآن حقاً وصدقاً . . فمرحى . . مرحى . . ولكن لكي نحتكم له كله . . ونلتزم بأحكامه بأسرها . . حتى لانقع تحت طائلة الآية الكريمة .

(أَفْتَوْنُونِ بِيَعُضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) . . صدق الله العظيم . .

ولنبداً بالتفسير المجرد للآيات . . التي هي واضحة بصورة لا مثيل لها . . والتي لم يختلف كبار المفسرين حولها . . لفرط قطعيتها ووضوحها . . ونحمد الله على ذلك . . وبعد ذلك التفسير نحاول تطبيقها بصورة أمينة صادقة على أحداث أزمة الخليج التي لم يعد خافياً على أحد وقائعها الأساسية .

ولكن قبل ان نبدأ في التفسير لابد من الإشارة إلى خلفية أساسية . . وهي استمرار غياب الدولة الإسلامية ، والسلطة الشرعية الإسلامية في دار الإسلام ، وهي المنوطة وحدها بتطبيق شريعة الله . . وهذا تحفظ أساسي يتجاهله باستمرار « فقهاء » السلطان .

فالمشكلة في حالتنا ليست ضعف الطائفة الثالثة التي يمكن أن تحكم وتحسم الخلاف بين الطائفتين المتنازعتين . . فهذا هروب من واقع المشكلة . . ان الطائفة الثالثة المفترضة ليست ولا يجب أن تكون إلا الدولة الإسلامية وامام المسلمين فأين هي الدولة الإسلامية وأين هو الامام الشرعي ؟! فالمفترض ان المسلمين ليسوا طوائف مشتتة ولكن أمة واحدة بسلطة واحدة (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وأمر الله عز وجل بإطاعة أولى الأمر معلق بوجود الأمراء والعلماء الشرعيين الملتزمين بشريعة الله . .

وهذا الواقع يضع قيوداً على تطبيق أحكام الله . . التى لا يمكن أن تطبق مجزأة أو بالقطعة . . سواء فى هذا المجال (تنازع المؤمنين) أو فى غيره .

ومع ذلك ولإيماننا بإننا بين ظهرانى مجتمع إسلامى . . ولا يزال الجميع - عند الضرورة - يحتجون بالقرآن الكريم فلنذهب معهم إلى نهاية الشوط . . ولكى يتأكد الجميع أنه لا يمكن الالتزام الصادق بأحكام القرآن إذا أخذناها مبتسرة . . والواقع فإن أحداً من فقهاء السلطان لا يستشار . . بل انهم يؤمرون بتبرير ما قد حدث بالفعل . . وما صدر من قرارات . . حتى ولو كانت هذه المرة قد صدرت فى البيت الأبيض .

الآية الكريمة تصف ٣ مراحل :

- (١) (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) .
- (٢) (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) .
- (٣) (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) .

وجاءت الآية التالية من سورة الحجرات لتؤكد المعنى الأخير (المرحلة الثالثة) وتفصله (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

المرحلة الأولى :

« تشير الآية أول ما تشير إلى الواجب الملحق على عاتق الجماعة فى حالة قيام نزاع بين طائفتين ، أى بين أى جماعتين مؤمنتين إذ يتعين على المسلمين ان لا يقفوا موقف المتفرج بل ان الواجب يحتم ضرورة التدخل لاصلاح ذات البين وفض المنازعة المسلحة بالطرق الودية كما يقولون ، ولم يجعل القرآن فى هذه المرحلة أى شرط لفض النزاع . فكل حل يؤدي إلى المصالحة بين

الطرفين فهو مقبول لان الهدف هو السلام وما يقبله الطرفان بطيب خاطر ، وسنرى في مرحلة تالية ان القرآن الكريم يشترط العدل لأنه سيكون هو السبيل الوحيد الذى يؤدى الى السلام. أما في هذه المرحلة الأولى ، فكل اتفاق يرضى عنه الطرفان فهو مقبول لانه يؤدى الى السلام والقانون الدولى الحديث يسمى هذه المرحلة مرحلة المساعى الودية والوساطة فالتحكيم .

المرحلة الثانية : التكاثف لرد العدوان . .

ونلاحظ هنا أن الانتقال لمرحلة تالية يبنى على استفاد كل أسباب المرحلة السابقة ، فهو توالى وتصاعد . . وليست طرقاً متوازية أو بدائل . . (فإن بغت) . . ثم (فإن فاءت) . .

فقد تنجح المساعى الحميدة وتنجح الوساطة وأخيراً التحكيم فى إيقاف القتال والصلح بين المتنازعين وقد لاتنجح بطبيعة الحال نتيجة لصلف أحد الطرفين وغطرسته واستطالته بقوته ، بحيث يظل متشبثاً بموقفه ، ماضياً فى عدوانه ، وهنا يتعين على جماعة الخير ان يتدخلوا لمساعدة المظلوم ودفع عدوان الباغى وذلك حتى يثوب إلى رشده ويرجع إلى الحق . .

(فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) .

المرحلة الثالثة : السلام القائم على العدل . .

وتأتى المرحلة الثالثة فى خاتمة المطاف حيث تنجح (جماعة الخير) فى ردع المعتدى وإيقافه عند حده وهنا تتجلى عظمة التشريع التى تنطق بالوهميته وإنه لايمكن أن يكون من صنع إنسان . فنحن هنا أمام جماعة معتدية (باغية) وقد خسرت الحرب وهزمت بفضل تدخل (جماعة الخير) أى انها قد فقدت قوتها ولم تعد تشكل خطراً ، ومع ذلك فإن القرآن يأمر هنا من جديد بالمصالحة وينص هذه المرة على أن تتم المصالحة على أساس من العدل ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لاستقرار السلام ، فإن أى حل لايقوم

على العدل لايمكن أن يحقق السلام وانه يكون شأنه شأن هدنة مؤقتة ،
فلايكاد المغلوب على أمره يلتقط أنفاسه ويستعيد قوته حتى يتتهز الفرصة
المناسبة لكي يقاتل من جديد ليرفع عن نفسه ما يتصوره ظلماً وقع عليه وتحيفاً
من حقوقه . ومن هنا نصّ القرآن على وجوب العدل حتى لقد عبر عنه بأكثر
من لفظ . ووعد العادلين (المقسطين) بمحبته . .

« فإن فاءت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) . .

(تفسير القرآن الكريم من سورة الأحقاف إلى سورة المرسلات - للأستاذ
أحمد حسين - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) . .

وبمراجعة أمهات التفسير لم نجد أى تأويلات متعارضة مع مضمون هذا
التفسير ولا على تصاعده وتواليه في مراحل ثلاث وفي مقدمتها . . تفسير ابن
كثير والقرطبي . . ولا في مختلف كتب الفقه وفي مقدمتها الأم للإمام
الشافعي .

بل ان معارضينا لم يطرحوا تأويلاً آخر للآية ، ولكنهم طرحوا بالأحرى
تأويلاً آخر للأحداث ، يتغافل عن وقائعه الاساسية . . ارضاء للأهواء .
(ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه) .

فلنطرح التطبيق الأمين لهذه الآية الواضحة كفلق الصبح على أحداث
الخليج . .

سنجد بكل بساطة ان المرحلة الأولى لم تحدث إطلاقاً (أى محاولة
الصلح) وتم تحديد الفئة الباغية من بعض أنظمة الحكم في بلاد
المسلمين . . ثم تم القفز خارج سياق الآية الكريمة تماماً واستدعاء قوات
أمريكا لمقاتلة الباغي . . وهى الآن تحرض الامريكيين على القتال . . مع
ان القتال متوقف بالفعل . . بل لم يجر قتال بالمعنى المفهوم للكلمة . . إلا
لبضع ساعات . . وطالما ان القتال متوقف فإن الصلح والسلم مرحلة
إجبارية ويجب الحفاظ عليها حتى تستنفذ . ولكن بعض الأنظمة في بلاد
المسلمين تحرض الامريكيين على القتال . . لأنها أصدرت لهم فتوى بمن هو
الباغي ؟!

ولنؤجل الآن قضية استدعاء المشركين حتى نوضح كيف ان المرحلة الأولى . . . وهى الصلح لم تتم . . . كلنا يعلم ان ضم العراق للكويت استغرق ساعات قليلة وفي الأيام التالية القليلة لم يتحرك أحد للصلح وكما قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله (ان إيجاد جامعة إسلامية تنظم العلاقات أمر واجب لمنع الاعتداء بين المسلمين) وهذه الجامعة غير موجودة بل انظمة متفرقة أغلبها تابع اقتصاديا وعسكرياً ومالياً ومعنوياً للولايات المتحدة التى ليس لديها أى فهم أو مصلحة مع القرآن الكريم !! ولا مع سورة الحجرات بالذات !!

ثم كانت دعوة الرئيس مبارك لعقد مؤتمر القمة وكان يمكن من الناحية النظرية - ورغم تحفظاتنا على الأنظمة العربية - ان يقوم أو بالأحرى يبدأ مهمة الصلح . إلا ان المؤتمر الذى عقد بعد اسبوع من ضم الكويت وبدون أى مشاورات مسبقة ، وقع تحت السيطرة الامريكية ، فقد كانت القوات الامريكية قد بدأت بالتدفق على الخليج وأصبح الحديث عن حل إسلامى فى ظل هذا التواطؤ نوعاً من الهراء . . . ومع ذلك كان يمكن للمؤتمر ان يحقق شيئاً يخرج على الأقل الغزوة الصليبية الوافدة بالحديث عن الانسحاب المتزامن . . . ولكن الأغلبية الطفيفة انحازت للموقف الأمريكى ، وليس لمنطق الصلح بين الأخوة . . . ولان الأخوة فى الخليج تدعموا بالوجود الامريكى فلم يعد لديهم رغبة فى الحوار . . . وضاعت امكانية وشروط الاتهام بالفئة الباغية ! لان الفئة الباغية هى التى تنقض الصلح ولم يكن هناك ثمة صلح . ولا يمكن القول باخلاص العمل من أجل الصلح خلال ٢٤ ساعة هى عمر مؤتمر القمة المنكود . ومن الناحية الاسلامية - على عكس ما يصور البعض - فإن قيام العراق بضم الكويت ليس هو العنصر الكافى لاثامه بالبغي فالإسلام لا يعرف الحدود الجغرافية بين الدول والامارات كما يقول شيخنا الجليل عبد الحليم محمود رحمه الله (الجهاد فى الإسلام) ، وبالذات لو كانت من صنع المشركين سايكس بيكو - أو الدول الاستعمارية . . . ولا يمكن تحديد الباغى على أساس القانون الدولى الغربى ، وإنما على أساس شريعة الله كتاب الله وسنته وبالتالى فإن الامارة المستقلة بصورة مطلقة عن

العالم الإسلامي ليست من الشريعة في شيء . . كما لا يوجد مجال لتفضيل النظامين العراقي والكويتي على أساس الشريعة الإسلامية طالما ان كليهما لم يكن ملتزماً بالشريعة على الأقل حتى ٢ أغسطس الماضي . . وبالتالي فإن حل المشاكل المتعلقة بين الطرفين بالعدل لابد ان تتجاوز شكليات القانون الدولي غير الإسلامي الى الحقوق والواجبات بين المسلمين لا أن تكون الآية الكريمة تحت رحمة تفسير مجلس الأمن الصليبي في مجموع تكوينه .

وهكذا فإن قضية الصلح لم تكن سهلة . . ولا يمكن أن تختزل إلى مجرد الانسحاب العراقي غير المشروط . . فهذا قد يكون موقف الأمريكيين الحريصين على بتروهم في الكويت . . ولكنه ليس بالضرورة موقف أو مصلحة المسلمين .

وليس من مهمتي الآن البحث عن الصلح المثالي . . لان ما يتفق عليه الأطراف ويكفي المؤمنين شر القتال . هو الصلح المثالي . . وإنما أردت فقط أن أشير الى قضية تعقيد الصلح . . وتعقيد المشكلات التي أدت إلى هذه الأزمة . . حتى لو استقرت عملية الصلح المخلصة على أن العراق هو الطرف الباغي فإن ذلك كان لابد إن يمر بالمعايير والأصول الإسلامية ذات العلاقة بموضوع النزاع ومنها ان المال مال الله . . وان مال المسلمين لا يمكن ان تستأثر به أقلية (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) بدعوى حدود جغرافية لم يقرها الإسلام بل صنعها المستعمرون لغرض بتروى واضح . .

أن تحديد الطرف المخطيء . . أو الباغي كان سيتم من خلال العديد من معايير العدل الإسلامي . . وهذا لم يحدث . . في حين ان الآية تحدثت عن البغى . . بعد الصلح . . والصلح لم يحدث . .

وإذا أضفنا لذلك ان النوايا لم تكن مع أى صلح . . وكانت مبيتة على تأكيد الدور الأمريكى نرى أن الصلح لم يتم إذا فهمنا القرآن بشكل واع وعميق وليس من خلال شكليات أفضل مؤتمر قمة في تاريخ جامعة الدول العربية . وقد كان يمكن لمصر بثقلها ان تلعب دور رمانة الميزان ولكنها أبت أو لم تتمكن الا من الانصياع للاتجاه الأمريكى الذى ساندته الكتلة الخليجية

فى المؤتمر . . وهى الوقائع التى شرحتها جريدة الشعب فى حينه .
يقول الإمام الشافعى بضرورة الدعاء الى الصلح قبل القتال ، وهذا لم يحدث . بل ان الرئيس مبارك أعلن فى إحدى المرات ان الحل العسكرى هو الحل الوحيد ولكن أمريكا هى التى تراجعت - حتى حين على الأقل - عن استخدام الحل العسكرى المباشر .

العراق . . باغية :

ومع ذلك ولو سلمنا جدلاً ان العراق باغية ، فان علماءنا الأجلاء لم يوضحوا للجمهور شروط مقاتلة الباغى المؤمن . .

وأولها كما يقول الإمام الشافعى (لا يجوز لأهل العدل أن يستعينوا على أهل البغى بأحد من المشركين ذمى ولا حربى ، ولو كان حكم المسلمين الظاهر ، ولا أجعل لمن خالف دين الله عز وجل الذريعة إلى قتل أهل دين الله) .

وهو يوضح الشروط الشرعية لمقاتلة أهل البغى ، والمشتقة من اعتبارهم مؤمنين :-

- ١ - عدم تطبيق القصاص عليهم بمجرد تراجعهم (فإن فاءت) .
- ٢ - حفظ أموالهم ودمائهم بمجرد انتهاء القتال بالهزيمة أو التراجع إلى أمر الله .
- ٣ - بل عدم استباحة أموالهم أثناء القتال .
- ٤ - عدم مقاتلتهم وهم مدبرون أو جرحى أو أسرى .
- ٥ - الصلاة على من مات منهم خلال القتال .
- ٦ - لو وادع أهل البغى قوماً من المشركين لم يكن لأحد من المسلمين غزوهم (أى المشركين) والعكس بالعكس !
- ٧ - لو سبى المشركون أهل البغى يقاتل المسلمون المشركين حتى يستنقذوا أهل البغى !

وهذه شروط رهينة . . وعجبية . . ولا مثل لها . . بين الأمم . . لأنها تحافظ على الأمة الإسلامية حتى في اقتتالها . . وتجعل المسلمين أمة من دون الناس وتضع قواعد صارمة لصراعاتهم . . فأين هذا من زيف وسفه إعلامنا المصرى الذى يشارك فيه بعض المعممين الذين يتحدثون عن الفئة الباغية وكأنهم كفار . . ويطالبون قوات المشركين بحرق الأخضر واليابس وقتل الاطفال والشيوخ والنساء بين أهل الغى المفترضين . . ويؤيدون المقاطعة الاقتصادية . . للمؤمنين بما فيهم المصريون الذى يعيشون فى العراق . . مع ان الإسلام يؤكد على حرمة المدنيين والشيوخ والاطفال حتى فى الحرب ضد الكفار . . فما بالنا فى حرب مفترضة مع بغاة مفترضين . .

ولذلك حرص القرآن على تأكيد وحدة الأمة وتلاحمها . . فبعد هذا القتال المنضبط بكل هذه القيود يتم اعادة لحم ما تقطع من نسيج الأمة (فأصلحوا بينهم بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

ومن الإعجاز ان تتبع هذه الآيات آية أخرى ترفض الحملات الاعلامية البذيئة بين المسلمين . . وكأن سورة الحجرات تصف حالنا الآن . .

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسمُ الفسوقُ بعدَ الإيمان ومن لم يتُبْ فأولئك هم الظالمون) .

فها نحن نرى إعلامنا المهيذب منذ ١٢ عاماً مع بنى إسرائيل لم يكف لحظة عن السخرية من أقوامنا المسلمين . . فى فلسطين والعراق والأردن والسودان ، وإذا كان اعلاميون مهتمين بالفتاوى الإسلامية فليتبعوا هذه الآية لأنها تؤكد ماسبق . . ان فترة الجفاء ستنتهى بمجرد انتهاء القتال . . ولاداعى لان نفجر فى خصامنا وهى من صفات المنافق انه (اذا خاصم فجر) لأننا من المفترض ان نعود ونتلاحم مع أهل البغى المفترضين فلا يجب تعميق الهوة .

كما لا يميز الإمام الشافعي بالإضافة لكل ما سبق ان يقاتل أهل البغى بأحد من المسلمين يستحل قتلهم مدبرين وجرحى وأسرى . فما بالكم بالمشركين الذين لن يراعوا بالتأكيد كل هذه الضوابط الشرعية . . بل إنهم على العكس سيجدونها فرصة لأعمال القتل والتدمير في جانب من أهل دين الإسلام .

وهذا نكون قد وصلنا إلى المحور الثاني . . شرعية الاستعانة بالمشركين !!

الاستعانة بالمشركين ضد المسلمين

واصل البعض غيه . . وطرح مالا يمكن ان يطرح استناداً للقرآن والسنة ودافعوا من منطلقات « إسلامية » عن الاستعانة بالقوات الأجنبية من المشركين ضد المسلمين لضرورة ! أو عند الحاجة ! وهذا تجاوز للحد لو استخدمنا أكثر العبارات تهدياً . . لاننا سنترك الحكم القاسى لآيات القرآن الكريم .

يقول الأستاذ / خالد محمد خالد ان الأصل في الأشياء الاباحة . . وفاته وهو في حالة الحماس الشديد لتاتشر الشائخة وبوش العظيم . . ان الاستعانة بالمشركين ضد المؤمنين من الأمور المحرمة بنص القرآن الكريم ، وانها ليست من الأمور المباحة . . أو المتروكة للاجتهد . (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) .

ونكتفى في هذا الجزء بأحكام القرآن . . نتبعه بعد ذلك بأحكام السنة وسيرة رسول الله وهى السيرة النبوية الشريفة التى أوسعوها تشويها والله يجزيهم على ذلك الجزء الأوفى .

وقد حصرنا من آيات القرآن الكريم ستة وأربعين آية كريمة تنهى عن تولى الكفار من دون الله ومن دون المؤمنين . . ونحن نعلم ان التكرار فى القرآن الكريم أحد الوسائل البلاغية لشرح أو تأكيد معنى من المعانى أراد الله فى دستوره الالهى أن يلفت نظرنا إليه مبعوثاً فى مختلف السور بين دفتى المصحف الكريم . . وهو ليس تكراراً بالمعنى الدارج فكل آية تلقى الضوء من زاوية خاصة جديدة أو فى سياق مختلف .

سورة البقرة . .

(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (١٠٥)
صدق الله العظيم يقول الطبرى فى تفسيره :

ما يحب الكافرون من أهل الكتاب (كثير منهم) ولا المشركين بالله ان ينزل عليكم من الخير الذى كان الله ينزله عليهم ، فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب ان لا ينزل الله عليهم الفرقان . وفى هذه الآية دلالة بينة على ان الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين ، والاستماع من قوهم وقبول شىء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم ، باطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون .

ويقول ابن كثير فى تفسيره :

يبين بذلك الله تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من تشبه المؤمنين بهم ليقطع المودة بينهم وبينهم كما جاء فى الآية السابقة (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) . التى أكدت على عدم التشبه باليهود فى أسلوب حديثهم .

سورة آل عمران :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) (٢٨) صدق الله العظيم . .
يقول الشهيد سيد قطب فى ظلال القرآن . .

إن الذى يتخذ الكفار أولياء - والكفار كما يقرر السياق هم الذين لا يقبلون التحاكم إلى كتاب الله - « فليس من الله فى شىء » . . ولا علاقة له بالله فى شىء ولا صلة بينه وبين الله فى شىء . . مجرد من يتولى وينصر أو يستنصر أولئك الكفار الذين يرفضون ان يتحاكموا إلى كتاب الله . ولو ادعوا انهم على دين الله !

ويشتد التحذير من هذه الولاية التى تذهب بالدين من أساسه . ويضيف

السياق إلى التحذير التبصير . تبصير الجماعة المسلمة بحقيقة القوى التي تعمل في هذا الوجود . فالله وحده هو السيد المتصرف . مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء . فلا داعي إذن لولاية غيره من العباد مهما يكن لهم من قوة ومن مال وأولاد .

ويشئ هذا التحذير المؤكد المكرر بما كان واقعاً في الجماعة الإسلامية يومذاك من عدم وضوح الأمر تماماً ومن تشبث بعضهم بصلاته العائلية والقومية والاقتصادية مع المشركين في مكة ومع اليهود في المدينة مما اقتضى هذا التفسير والتحذير . كما انه يشئ بطبيعة ميل النفس البشرية الى التأثر بالقوى البشرية الظاهرة وضرورة تذكيرها بحقيقة الأمر وحقيقة القوى ، إلى جانب إيضاح أصل العقيدة ومقتضياتها في واقع الحياة . فما لاء المؤمن إذن لأعداء الله ؟ إنه لا يجتمع في قلب واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاته أعدائه . ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لا يرتضى أن يحكم كتاب الله في الحياة سواء كانت الموالات بمودة القلب أو بنصره أو باستنصاره (ليس من الله في شيء) لا في صلة ولا نسبة ولا دين ولا عقيدة ولا رابطة ولا ولاية . فهو بعيد عن الله ، متقطع الصلة تماماً في كل شيء تكون فيه الصلات .

وجاء في تفسير القرطبي عن نفس الآية الكريمة :

قال ابن عباس : نهى الله المؤمنين ان يلاطفوا الكفار فيتخذوهم أولياء ومثله « لاتتخذوا بطانة من دونكم » ومعنى فليس من الله في شيء أى فليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء .

وجاء عن نفس الآية في تفسير ابن كثير :

نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين ان يوالوا الكافرين وان يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أى ومن يرتكب نهى الله في هذا فقد برىء من الله .

(وهكذا نرى ان معانى الآيات واضحة ولاخلاف حول تفسيرها ولكننا سنواصل العرض طالما أن هناك من علماء السلطان والمعممين من اجترأ على كتاب الله وعلى ما هو معلوم من الدين بالضرورة . . لنواصل عرض الآيات وتفسيراتها لعلها تخرجهم أو تحرس ألسنتهم !!) .

وعن نفس الآية تفسير الأستاذ أحمد حسين :

كل من اتخذ من الكافرين ولياً (أى صديقاً ونصيراً) والموالاتة فى اللغة تطلق على الحب والصداقة كما تطلق على النصرة . ونخلص من ذلك ان القرآن الكريم نهى بصريح النص عن موالاتة الكفار باتخاذهم أنصاراً وأصدقاء من دون المؤمنين ويحكم الله على من والى الكفار بان الله برىء منه وفى آية أخرى يقول تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) أى يصبح من الكفار أعداء الله .

تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :

إذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده مالك الملك ويعز ويذل وييده وحده الخير والخلق والرزق فلا يصح للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم ، متجاوزين نصرة المؤمنين لان فى هذا خذلاناً للدين وإيذاء لأهله . واضعافاً للولاية الإسلامية ، ومن يسلك هذا المسلك فليس من ولاية الله مالك الملك فى شىء .

آل عمران الآية ١٠٠ :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) .

وكان السبب المباشر لنزول الآية هو المؤامرة اليهودية لبلايقاع بين الأوس والخزرج كى يعودوا بعد تأخيهم فى الايمان إلى الاقتتال الجاهلى . . وعن المعانى الخالدة لهذه الآية يقول الشهيد سيد قطب (فى ظلال القرآن) : لقد جاءت هذه الأمة المسلمة لتنشئ فى الأرض طريقها على منهج الله وحده متميزة متفردة ظاهرة لقد انبثق وجودها ابتداء من منهج الله ، لتؤدى فى حياة

البشر دوراً خاصاً لا ينهض به سواها . لقد وجدت لإقرار منهج الله في الأرض . وتحقيقه في صورة عملية . ذات معالم منظورة . وهى لتحقيق غاية وجودها إلا إذا تلقت من الله وحده لا التلقى من أحد البشر ولا طاعة أحد من البشر . إما هذا وإما الكفر والضلال والانحراف .

إن طاعة أهل الكتاب والتلقى عنهم واقتباس مناهجهم وأوضاعهم تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية والتخلي عن دور القيادة الذى من أجله أنشئت الأمة المسلمة . كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعباً في طريق النماء والارتقاء . هذا من جانب المسلمين أما هذا الفريق أهل الكتاب فهم لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها فهذه العقيدة هى صخرة النجاة وخط الدفاع ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة وأعداؤها يعرفون هذا جيداً . وحين يجدون من بعض المسلمين طوعية واستماعاً واتباعاً فهم ولا شك سيستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التى تؤرقهم وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال .

آل عمران ١١٨ :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا . ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) .

سـ سيد قطب :

يجب التحذير للجماعة المسلمة من ان تتخذ من أعدائها الطبيعيين بطانة وان تجعل منهم أمناء على أسرارها ومصالحها وهم للذين آمنوا عدو . والمسلمون في غفلة عن أمر ربهم . ألا يتخذوا بطانة من دونهم بطانة من ناس هم دونهم في الحقيقة والمنهج والوسيلة . وألا يجعلوهم موضع الثقة والسر والاستشارة . المسلمون في غفلة عن أمر ربهم هذا يتخذون من أمثال هؤلاء مرجعاً في كل أمر وكل شأن وكل وضع وكل نظام وكل تصور وكل منهج وكل طريق !

أحمد حسين :

هذه الآية دعوة للمؤمنين في كل زمان ومكان إلى أبد الأبدين ان لا يتخذوا
أى لا يركنوا ويثقوا بأحد .

من دونكم : أى من غير أنفسكم ، من سواكم (أى أى جماعة بخلاف
جماعة المؤمنين) بطانة : بطانة الرجل خاصته وموضع سره ، مأخوذ من بطانة
الثوب أى باطنه وهو عكس الظهارة أى ظاهر الثوب . لا يألونكم خبالا :
من الألو وهو التقصير والضعف .

الخبال : الفساد . والمعنى انهم لا يقصرون عن افسادكم بكل الوسائل
والطرق الظاهرة والخفية .

ودوا ماعتتم : أى تمنوا ورجبوا أشد الرغبة (ماعتتم) من العنت وهو
المشقة . أى أنهم يتمنون من صميم قلوبهم ان تغرقوا في خضم المشاكل
والمصاعب والأزمات ويعملون جاهدين على افسادكم .

القرطبي :

أكد الله تعالى الزجر عن الركون إلى الكفار ونهى الله المؤمنين ان يتخذوا
من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء ويسندون
إليهم أمورهم . وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) . وروى أنس
بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تستضيئوا بنار
المشركين) وفسره الحسن بن أبي الحسن فقال : أراد عليه السلام لا
تستشيروا المشركين في شىء من أموركم .

آل عمران ١٤٩ - ١٥٠ :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا
خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) .

ابن كثير :

يحذر تعالى عباده المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه ، ويروى سيد قطب في ظلال القرآن حول هذه الآيات التي وردت حول فترة أحد ان قوماً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ ان يستعينوا بحلفائهم من اليهود فأبى - صلى الله عليه وسلم - فالمعركة هي معركة الإيمان والكفر فما ليهود بها ؟ والنصر من عند الله حين يصح التوكل عليه وتجرد القلوب له .

النساء ٨٩ :

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً) .

وفي هذه الآية نهى عن تولى المنافقين الذين يدعون الإسلام . . ولا يجاهدون في سبيل الإسلام بل ينضمون الى اعدائه . .

وهكذا نرى أن الآيات المتوالية تحرم مولاة غير المؤمنين : سواء أكانوا كفاراً أو مشركين أو منافقين أو من أهل الكتاب ، وبالنسبة لأهل الكتاب فإن الإسلام يفرق بين المعتدين والمسلمين . . وبين الذميين (من مواطني دولة الإسلام) وبين الحربيين (أهل الكتاب المحاربين لدولة الإسلام) وهو الأمر الذي نفصل أحكامه في نقطة تالية من دراستنا . . ولكننا نود أن نؤكد من البداية أن موضوع الدراسة ينصب بالاساس على الكفار والمشركين وأهل الكتاب المحاربين للإسلام (الغرب الاستعماري) وحكمهم في القرآن واحد أي تحريم مولاتهم وهو تحريم قاطع كما رأينا وكما سنرى من باقى الآيات .

النساء ١٣٨ - ١٣٩ :

(بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنخون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) .

تضيف هاتان الآيتان معنى إضافياً فهي تصف الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بأنهم المنافقون ، والمنافقون في القرآن الكريم هم الذين يدعون الإسلام . . دون أن يكونوا مؤمنين في قرارة أنفسهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) .

ويشرح الإمام رشيد رضا في تفسيره المنار آية سورة النساء بقوله : ثم وصف هؤلاء المبشرين (المنافقين) بأنهم يتخذون الكافرين المعادين للمؤمنين أولياء وأنصاراً ، متجاوزين ولاية المؤمنين وتاركينها إلى ولايتهم وممالاتهم عليهم لاعتقادهم أن الدولة ستكون لهم فيجعلون لهم يداً عندهم (أيتغون عندهم العزة) استفهام تقريع وتوبيخ . ان كانوا يبتغون عندهم العزة وهي المنعة والغلبة ورفع القدر (فإن العزة لله جميعاً) فهو يؤتيها من يشاء فكان عليهم أن يطلبوها منه بصدق الايمان والسير على سنته تعالى واتباع هداية وحيه الذي يرشدهم إلى طرقها ويبين أسبابها ، وقد آتاه الله نبيه والمؤمنين باهتدائهم بكتابه ، وسيرهم على سنته ، ولما أعرض المسلمون عن هذه الهداية التي اعتز بها سلفهم ذلوا وساءت حالهم ، وصار فيهم منافقون يوالون الكفار دونهم ، يبتغون عندهم العزة والشرف وما هم له بمدركين فعسى الله أن يوفق المسلمين إلى الرجوع إلى تلك الهداية فيعودوا إلى حظيرة (والله العزة لرسوله وللمؤمنين) .

ويقول ابن كثير : ان الله ينهى عن مصابحتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم . وأولياء أيضاً بمعنى نصراء .

المائدة ٥١ - ٥٢ :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) .

يقول القرطبي نزلت هاتان الآيتان يوم أحد حين خاف المسلمون حتى هم قوم منهم أن يوالوا اليهود . وقيل انها نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول حيث تبرأ عبادة - رضى الله عنه من فكرة موالاة اليهود وتمسك بها بن أبي وقال : إني أخاف ان تدور الدوائر .

(ومن يتوهم منكم) يعضدهم على المسلمين (فإنه منهم) أى حكمه كحكمهم . وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة في قطع الموالاة . وقد قال تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) .

(الموالاة) النصرة .

(فإنه منهم) وجبت معاداته كما وجبت معاداتهم ووجبت له النار كما وجبت لهم فصار منهم أى من أصحابهم .

ونؤكد هنا أيضاً أن سياق الآيات الكريمة يشير إلى أهل الكتاب المحاربين للإسلام ولدولته .

المائدة : ٥٧ :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) .

يقول القرطبي : لما أراد النبي الخروج إلى أحد جاء قوم من اليهود فقالوا : نسير معك فقال عليه الصلاة والسلام (انا لانتعين على أمرنا بالمشركين) .

المائدة : ٨٠ - ٨١ :

(ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) .

وهذه الآيات نزلت في بنى إسرائيل لأنهم كانوا يتعاونون مع الكفار ضد الإسلام والمسلمين فهل نحذو اليوم حذو بنى إسرائيل !!؟

الأنفال : [٦٤] :

(يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) حصرت هذه الآية عدة النبي في نصره . . وهى الله ومن اتبعه من المؤمنين وفى تفسير آخر حسبك أنت والمؤمنين الاعتماد على الله .

الأنفال : ٧٣ - ٧٥ :

(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفسادٌ كبير) (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم) .

فالذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل متعاونون فى عداوتكم فلا توالوهم ، فإن خالفتم وواليتموهم تقع الفتنة فى صفوفكم والفساد الكبير فى الأرض . وإنه حقاً لوصف دقيق للفتنة الكبرى التى تمثلها القوات الأمريكية والغربية فى بلاد الحرمين الشريفين . والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيراً وجاهدوا مع السابقين فأولئك منكم ياجماعة المؤمنين ، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض . وذوو الأرحام من المؤمنين لهم - فضلاً عن ولاية الايمان - ولاية القرابة فبعضهم أولى ببعض فى المودة والمال والنصرة والتأييد وقد بين ذلك فى كتابه وهو العليم بكل شىء .

سورة التوبة :

الآيات السابقة كانت نهاية سورة الأنفال التى خُتمت بالكشف عن الحدود الفاصلة بين المؤمنين وغير المؤمنين بحيث وضح موقف كل منهما من الآخر ، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، والكافرون بعضهم أولياء بعض .

وبدأت سورة التوبة بهذا الإعلان العام الذى كان تطبيقاً للأحكام التى تضمنتها الآيات الواردة فى آخر الأنفال ، من عزل المؤمنين عن الكافرين حيث قضى هذا الاعلان ببراءة الله ورسوله من المشركين ومن العهود المعقودة معهم . ومن المهم ان نشير إلى أن سورة التوبة هى آخر سورة نزلت من القرآن الكريم على أرجح الأقوال .

(براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) هو اعلان بقطع العلاقات التي كانت تصل المؤمنين بالمشركين من عهود ومواثيق وذلك لما أحدث المشركون من عبث بهذه العهود واستخفاف بها ، إذ أنهم كانوا لا يتمسكون بها إلا إذا وجدوا في ذلك مصلحة محققة لهم فإذا أمكنتهم الفرصة من المسلمين أنكروا هذه العهود .

(أن الله برىء من المشركين ورسوله) ماعدا (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم الى مدتهم) (فإذا انسلك الشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) (أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما يعملون) .

كانت هذه الآيات القاطعة آخر توجيهات السماء إلى الأرض بعد أن اكتملت الشريعة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فقد اكتمل كيان الأمة الإسلامية ، ولكننا نسينا هذه الأحكام في ذلك الانهيار والتبعية وحيث أصبحت حياتنا بكل تفاصيلها مرتبطة بخيوط أئمة الكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله حتى ان العلماء قالوا ان المشرك القادم من دار الحرب لا يجوز ان يقيم في دار الإسلام سنة وتراوح رأى العلماء بين جواز بقائه بين ٤ شهور وأقل من عام . ولو اطلع هؤلاء العلماء على حال المسلمين الآن لضربوا صدورهم بأيديهم ان خبراء المشركين يقيمون ويدبرون اقتصادياتنا وجيوشنا . . الخ الخ .

القرطبي :

(واحصروهم) يريد عن التصرف الى بلادكم والدخول إليكم إلا أن تأذنوا لهم فيدخلوا إليكم بأمان .

(طعنوا في دينكم) أى بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما يفعله المشرك . واستدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين إذ هو كافر . وقال ابن المنذر : أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم عليه القتل . ومن قال ذلك مالك والليث وأحمد وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي (نتذكر فتوى الإمام الخميني بحل دم مؤلف « آيات شيطانية » سلمان رشدى الذى سب فيه رسول الله وتطاول عليه) .

(أئمة الكفر) قادة الكفر ورؤساؤه (وليجة) بطانة والمعنى واحد نظيره (لاتتخذوا بطانة من دونكم) والمقصود بطانة من المشركين يتخذونهم ويفشون إليهم أسرارهم ويعلمونهم أمورهم !

(ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم في النار هم خالدون . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) .

بعد أكثر من ١٤ قرناً من نزول القرآن تأتى قوات أمريكية وغربية مشكلة من الكفار واليهود والنصارى بدعوى حماية بلاد المسجد الحرام !!
(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءهم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) .

القرطبي :

خطاب لجميع المؤمنين كافة وهى باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين ، وقد أضافت بالمقارنة مع الآيات المشابهة عدم استثناء الأقارب الآباء والأخوة وليس هناك أقرب إلى الانسان من الأب والأخ .

(يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد

عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يُغْنِيَكُمْ الله من فضله إن شاء الله عليهم
حكيم) .

القرطبي :

المسجد الحرام يطلق على جميع الحرم ، أما جزيرة العرب وهى مكة
والمدينة واليامة واليمن ومخاليقها فقال مالك يخرج من هذه المواضع كل من
كان على غير الاسلام ولا يمنعون من التردد بها مسافرين . وكذلك قال
الشافعى رحمه الله غير انه استثنى من ذلك اليمن . ويضرب لهم أجل ثلاثة
أيام كما ضرب لهم عمر رضى الله عنه حين أجلاهم .

وهكذا تتضح حرمة وجود القوات الأمريكية فى جزيرة العرب .
(وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) .

قاتلوا المشركين مجتمعين غير مفترقين ، مؤتلفين غير مختلفين كما يقاتلونكم
هم بدورهم موحدين متكاتفين على صعيد واحد . وبمفهوم المخالفة لا
تتفرقوا وتخلطوا المواقف بين المؤمنين والمشركين . ويجب أن يكون كل خندق
واضحاً بلا لبس ولا تداخل .

ونكتفى بالتفسيرات السابقة ونثبت باقى الآيات الماثلة فى حكمها :

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يغنونكم الفتنة
وفيكم سمعون لهم والله عليم بالظالمين) (٤٧) التوبة .

(إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمراً من
قبل ويتولوا وهم فرحون) (٥٠) التوبة .

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء
ثم لا تنصرون) (هود ١١٣) .

(فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهاداً كبيراً) (الفرقان ٥٢) .

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن
أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون) العنكبوت (٤١)

(يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليهما حكيمًا) (الأحزاب ١) .

(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً) (الأحزاب ٤٨) .

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد) . (الزمر ٣٦) .

(إنهم لن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شيئاً وإن الظالمين بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، والله ولى المتقين) (الجاثية ١٩) .

(ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضِبَ الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) (المجادلة ١٤) .

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُؤادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءكم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (المجادلة ٢٢) .

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيل وابتغاء مرضاتى تُسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) .
(الممتحنة ١)

(إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون) .

(الممتحنة ٩)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) .

(الممتحنة ١٣)

عذر مرفوض :

ولا عبرة بما قد يسوقه البعض دفاعاً عن مولاته للذين كفروا ، بأنه إنما يفعل ما يفعل لحماية لأولاده أو ذوى قرباه فكل ذلك لا يدفع عن الإنسان يوم القيامة لقوله تعالى :

(ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) .

(المتحنة ٢ - ٣)

حكم الدين :

والآن ما هو حكم الدين في جحافل القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية وغيرها من القوات الغربية الجاثمة على أرض الجزيرة العربية وبعض امارات النفط في الخليج ، وهى على وشك ان تتجاوز ١/٢ مليون جندي مدججين بأحدث أسلحة الدمار التقليدية والنوية بالإضافة لعشرات القطع البحرية العسكرية في الخليج ومئات الطائرات الحربية بدعوى الدفاع عن الأراضي المقدسة ضد غزو عراقى محتمل .

هذا ما سنتناوله في الصفحات التالية .

حكم الدين

في الحشود العسكرية الغربية في الخليج والجزيرة العربية

من نتائج أزمة الخليج أنها فتحت الملفات المغلقة وما أكثرها . . وعلى رأس هذه الملفات قضية موالاة الكافرين والمشركين . . فهذا التعبير اللغوي الفذ الذي جاء في كتاب الله عز وجل . . من آيات اعجازه . . فالموالاة في اللغة العربية . . تتراوح بين الملاطفة والتودد مروراً بالصدقة والحب والثقة انتهاء بالنصرة أو الاستنصار . . وهكذا نجد لفظاً واحداً يحتمل كل هذه التلاوين من الدرجات . . ومن مستويات التحالف والتعاطف والتآلف . .

والطريف أن كبار المفسرين لم يخطر على بالهم مسألة الاستعانة « بالكفار ضد المسلمين » فجنحوا في تفسيراتهم إلى المستويات الدنيا من التعاون كالملاطفة والتودد والتناصح . . ووضع الكافرين موضع الثقة .

ولكن عظمة التشريع الإلهي ، وضعت من النصوص ما يحتمل مختلف المواقف بما فيها هذا الموقف الشاذ الذي نحياه الآن . . وان لم يكن فريداً فقد تكرر في كل عهود تراجع الحضارة الإسلامية . . خلال الغزوات الصليبية ، وخلال فترة الانهيار بالاندلس . . حيث تحالفت إمارات إسلامية مع الاستعمار الصليبي ضد امارات إسلامية أخرى !

وبالتالي فإن الموالاة لغوياً تشتمل على هذا الاحتمال أى التحالف العسكري ضد المسلمين . . مع ملاحظة أن كثيراً من هذه الآيات كانت تنهى عن موالاة المشركين في جهاد المسلمين ضد مشركين آخرين !! كالركون إلى يهود المدينة في الجهاد ضد مشركي مكة . ولم تنص أى آية بشكل قطعي على رفض الموالاة الحربية ضد المسلمين لأن القرآن منزل إلى عقلاء . . فكيف يمكن لمسلم ان يستدعى مشركاً لمحاربة مسلم . ويظل مسلماً !! (ومن يتوهم منكم فإنه منهم) صدق الله العظيم .

نقول ان أهمية فتح هذا الملف لا تقتصر على مسألة الحشود العسكرية الأمريكية والغربية التي تدفقت ومازالت تتدفق إلى أرض الجزيرة العربية رغم الخطورة الفادحة لذلك . . ففتح ملف (عدم موالاة المشركين) يعنى مراجعة ما تعودنا عليه في حياتنا اليومية باعتباره من البديهيات . . الاعتماد في السياسات الاقتصادية على تعليمات صندوق النقد الدولي . . والبنوك الصهيونية العالمية . . ونصائح الولايات المتحدة . . والركون بلا حدود إلى المستشارين والخبراء الأجانب في كل صغيرة وكبيرة من حياتنا . . ووضع كل أسرارنا العسكرية في أيديهم . . واعتمادنا في التسليح على ما تجود به مخططاتهم . . الاستدانة منهم بلا حدود . . واجراء مناورات عسكرية معهم . . الخ الخ إلى آخره من الأمور التي ليست الآن محل بحثنا . . ولكننا نشير إليها باعتبار ان اجتياح القوات الأمريكية لأرض الجزيرة العربية جاء في سياق موالاة الغرب التي ينتهجها حكام المنطقة منذ سنوات ولم يعد باقيا سوى أن تقوم الدول الغربية بحماية الأمن المباشر لأنظمة الحكم العربية وفض المنازعات بين الدول العربية ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

تطبيق أحكام القرآن على احداث الخليج :

ولنبداً بتتبع أحداث الخليج من زاوية موالاة المشركين والتي لم يستطع « علماء » السلطان ان يجدوا أى مبرر لها من القرآن . . فقالوا انها حالة الضرورة . . والقاعدة الفقهية تقول (الضرورات تبيح المحظورات) . . ولنبداً أولاً بقضية استدعاء القوات الأمريكية . .

ليس صحيحاً أنه كان هناك استدعاء للقوات الأمريكية . . بل لقد فرضت أمريكا وجودها العسكرى على حكام الخليج والذين لا يمكنهم ان يردوا لها طلباً . . طالما أن الأمر يمس المصالح الحيوية الامريكية . وهل يمكن من الناحية النظرية تصور ان ترفض السعودية الطلب الامريكى . . وكل أموال السعودية في البنوك الامريكية . . وكل النظام الأمنى والعسكرى في السعودية والخليج قائم على التعاون الوثيق مع الجيش الامريكى (لاحظ تصريحات الامريكيين بأنهم متواجدون في المنطقة منذ عام ١٩٤٧) .

وهل يمكن تخيل أن حشد نصف مليون جندي أمريكي وما يصاحب ذلك من تكلفة سياسية وعسكرية ومالية عالية كان قراراً سعودياً؟! أو عربياً؟! ان الاجابة على هذا السؤال بنعم . . تعنى منتهى السذاجة السياسية مع افتراض أكثر درجات حسن النية !

إن القرار كان أمريكياً واتخذ الغطاء السعودي . . في إطار تخويف السعودية من احتمال غزو عراقى . . وتؤكد الآن كثير من المصادر الغربية ان هذا الغزو لم يكن وشيكاً . . ولا محتملاً .
وتسوق مجلة نيوزويك في عددها الصادر ١٧ سبتمبر ١٩٩٠ الحقائق التالية التى استقتها من الادارة الامريكية ولم تنفها السعودية ولا أى دولة أخرى . . تقول المجلة الامريكية وثيقة الصلة بالادارة وبالمخابرات الامريكية :

انه في ٦ أغسطس : سافر وزير الدفاع الأمريكى إلى السعودية لمقابلة الملك فهد وكان بوش - في سلسلة من المكالمات الهاتفية مع فهد - قد ناقش بالفعل ارسال قوات أمريكية إلى المملكة . خطة بوش (لاحظ تعبير خطة بوش) كانت تتمثل في اصدار تعليمات سرية بارسال قوات إلى المنطقة في وقت لاحق من يوم الاثنين ٦ أغسطس . وبدأت القوات بالتحرك يوم الثلاثاء ٧ أغسطس على أن يعلن بوش هذا القرار يوم الأربعاء ٨ أغسطس ، صباح يوم الاثنين ٦ أغسطس اتصل وزير الخارجية الأمريكى بيكر بنظيره السوفيتى . . ليخبره بالتحرك العسكرى . . ودار حوار حول امكانية مشاركة السوفيت بقوات بحرية أو برية . . ولم يجز الحديث عن استئذان السعودية في ذلك !! وكانت العلاقات الدبلوماسية مازالت مقطوعة بين السوفيت والسعودية في ذلك الوقت . .

وهكذا فإن الحقائق تتحدث عن نفسها . . ودعونا إذن من قضية استدعاء أو الاستعانة بالقوات الامريكية . . نحن أمام احتلال وغزو أمريكى لأرض الجزيرة العربية . . وان الحصول على الموافقة الشكلية للحاكم العربى ليس بالأمر الجديد فى التاريخ الاستعمارى الطويل ، ، فغالباً مادخلت جيوش الغزاة بطلب من ثم بمساندة حكام محليين .

ومع ذلك فإننا سنواصل الجدل لتتبع باقى الحجج . . وليس لاننا نسلم بان السعودية بمطلق حريتها قررت الاستعانة بالمشركين !!

قال الكاتب « الفذ » خالد محمد خالد فى حديث تلفزيونى . . من قال إنها قوات « أجنبية » بل هى قوات « دولية »، وهذا بالطبع نوع من الهزل . . ولكنه أراد أن يكون « جاداً » فقال انهم ليسوا بمشركين أو كفار . . انهم أهل كتاب !!

وهكذا فإن الاستاذ / خالد يتخبط فى أيامه الأخيرة وكأنه يحنّ لأيامه الخوالى . . ويتلاعب بثوابت الدين . . أو ماهو معلوم من الدين بالضرورة . .

فقد ذكرنا فيما سبق من الآيات ان القرآن ينهى عن موالاة الكفار أو المشركين أو المنافقين أو أهل الكتاب من دون المؤمنين . وفى هذا الرد الكافى على « سعادته » ونحن لانريد ان نخرج عن موضوعنا (لمواجهة حالة من الهذيان أملت بأستاذنا) فالموقف الإسلامى من أهل الكتاب على قدر عظيم من الأهمية . . ولكننا فى عجلة . . وبما يمسّ موضوعنا . . نقول باختصار ان الموقف القرآنى لم يتحدث عن أهل الكتاب ككتلة واحدة وانما فرقت عشرات الآيات بين صنفين من أهل الكتاب . . ولا نقصد التفرقة العامة بين اليهود والنصارى ولكن أيضاً التفرقة بين نوعين من أهل الكتاب من زاوية التقوى . . ولابد من الإشارة الى ذلك حتى لا يفهم أحد ان معاداة الاستعمار الأمريكى تعنى معاداة أهل الكتاب من أهلنا فى مصر .

وأضرب مثلاً (ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) (آل عمران ١١٣) (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) (آل عمران ١١٥) .
نعم ليس أهل الكتاب سواء . .

(ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك الا مادمت عليه قائماً) (آل عمران ٧٥) وهكذا فإنهم ليسوا كتلة واحدة . ولكن كيف نميز بينهم ؟ هل سندخل فى قلوبهم ؟ لا

بالطبع فالله وحده المطلع على القلوب . . ولكن لنا الأعمال الظاهرية . . أما بالنسبة لموضوعنا فإن الآية الكريمة تفصل فيه . .

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

وليكن الأمريكيون أهل كتاب . . ولكنهم من الصنف المعتدى . . الذى أخرجنا من ديارنا وظاهر على اخراجنا . . وهم محاربون وأعداء . . وليسوا أهل عهد ولا ميثاق ولا ذمة ، فلولا الدعم الأمريكى المكثف لما استطاع الكيان الصهيونى ان يثبتم على أرض فلسطين والقدس والمسجد الأقصى . وبالإضافة لذلك نحن لاندرى ما علاقة السلطة والسياسة الأمريكية بالانجيل ؟!

ما علاقة المسيحية بشن الحرب واستعمار العالم . . وألا يضم الجيش الأمريكى يهوداً وكفاراً يعلنون كفرهم على الطوائف المختلفة المشهورة والمنتشرة فى أمريكا . . لتتجاوز إذن هذا التشويش . . أن الأمريكان أهل كتاب . . لنبحث عن حجج أخرى ربما تكون أكثر جدية . لاننا نتعامل مع السلطة المادية الأمريكية لا مع الافراد الأمريكيين المتناثرين . .

حالة الضرورة . . وانعدام البديل :

يصرخ كثير من أنصار القوات الأجنبية بالقول . . وماذا كان البديل ؟! انها الضرورات التى تبيح المحظورات . .

البدائل العربية والإسلامية كانت متوفرة ولكن الحل الأمريكى فرض علينا فرضاً . . كما ذكرنا يوم ٦ أغسطس ، بينما اجتمع مؤتمر القمة العربى يوم ١٠ أغسطس فبدلاً من أن يبحث عن حل عربى . . ارتضى الحل الأمريكى . . ووافقت الحكومات فى مصر وسوريا والمغرب على تغطيته بقوات رمزية . .

ونحن نقول وبعد مضيّ شهور على احتلال وضم الكويت . . وانتفاء خطر الغزو العراقي للسعودية . . ماهى الخطوات التى اتخذت لاستبدال قوات عربية وإسلامية بالقوات الأمريكية التى جاءت على عجل لانقاذ الموقف ؟ وهل تشكيل قوة إسلامية رادعة مسألة تحتاج لسنوات ولقرون ؟! ان مؤتمر علماء المسلمين فى مكة دعا الى تشكيل هذه القوات . . وهل تحتاج هذه القوات لأكثر من شهرين أو ثلاثة . . ألا تتشكل من جيوش قائمة بالفعل تم إنفاق عشرات المليارات على تسليحها . . أم إنها كانت مجهزة فقط لحماية الأنظمة من المظاهرات والهبات الشعبية ؟!

دعنا نقول الصدق ، لو كانت العجلة . هي الأساس لكانت ايران أقرب إلى أرض السعودية من أمريكا . . وجيش ايران هو الذى صمد أمام العراق ٨ سنوات . . وكان بإمكانه أن يفصل بين الكويت والسعودية . . ولكن هل تعتبر السعودية ايران دولة إسلامية ؟! وهل كانت أمريكا تسمح بهذا ؟! لتضيع سيطرتها على نفط السعودية ؟!

البديل الإسلامى كان موجوداً . . جيوش مصر وايران وتركيا وباكستان والسعودية . . وسوريا . . وكانت أسرع فى الوصول إلى منطقة النزاع . ويؤكد قائد الجيش الأمريكى فى السعودية انه ظل خائفاً لمدة ١٠ أيام من احتمال تقدم القوات العراقية لأنها كانت ستسحق العدد القليل من القوات الأمريكية التى أمكن حشدها من أوروبا . . والواقع أن الحشد العسكرى الأمريكى لم يكتمل إلا بعد شهر من ٢ أغسطس . ومازال حتى الآن غير كامل من الناحية البرية !!

لو كان لدى العراق نية التقدم إلى السعودية لكان ذلك ممكناً وسهلاً وبأقل الخسائر فى الأيام الأولى . . ولكننا نفترض وجود هذه النية لمتابعة المناقشة . فالبديل العربى والإسلامى كان موجوداً . . ولكن طبيعة أنظمتنا مرتبطة بشكل رأسى بالقوة الاستعمارية . . وغير مرتبطة بشكل أفقى بالدول العربية والإسلامية .

وهذا هو ماجعل البديل العربى والإسلامى غير واقعى . . إن عدم

واقعيته تعود إلى طبيعة نفس الأنظمة التي « طلبت » الوجود الأمريكي ، علاقة السبب بالنتيجة ونحن لا يمكن ان نتجاهل السبب ونحن نقيم النتيجة . الذين يقولون ان صدام حسين وبشعبه (١٧ مليون) أقوى من ٤٠ دولة إسلامية ومليار مسلم . . إذا كان ذلك حقيقياً . . فإنه يستحق أن يحكمنا . . ومن حقه أن يحكمنا . . وعلينا أن نقبل هذا . . لا نقول ان هذا يبرر وجود الأمريكان . . وأن يحكمنا المشركون والكفار .

ولكن الحقيقة أن الجيش العراقي ليس بهذه القوة بالطبع . . والقضية ليست قوة عسكرية مجردة ، فوجود وحدات من الجيوش الإسلامية على الحدود السعودية - الكويتية يمثل احراجاً أدبيا أكبر بكثير من عددها وكميات معداتها العسكرية . .

أما وجود قوات أمريكية . . فإنه يعطى للعراق قوة . . ويحوله إلى رأس حربة للتصدي للغزوة الصهيونية الأمريكية . . ويكسبه شعبية عربية وإسلامية ، وتتوارى في ظل هذا أزمة الكويت . . والخلافات حولها . .

الذين يقولون انه لا بديل لأمريكا . . ينسون إن رسولنا عليه الصلاة والسلام علمنا اننا أمة من دون الناس ، وأننا يد على من سوانا . . وان الخلافات والتناحر بيننا لا يمكن ان ينسينا هذه الحقيقة الكلية . . (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

والقرآن الكريم يعلمنا (وان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله وإلى الرسول) ونحن عندما تنازعنا رددنا الأمر إلى أمريكا . . لا إلى الله ولا إلى الرسول . .

أما القول بأن التدابير العربية الإسلامية قد لا تكون كافية نقول لماذا لا تركزون الى الله . . (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) . . ولا يمكن لأمة مؤمنة . . ان يخذلها الله . . ولكن الى أين انحدر إيماننا . . وماذا فعل بعقيدتنا وبأقلامنا النفط والمال النفطي . . وهذا ما سنأتى إليه فيما بعد . .

، ورغم دفاع د . عبد الغفار عزيز عن موقف الاستعانة بالأمريكيين إلا أنه قال في صحيفة الوفد (لو أعلنت السعودية انها تستعين بغير المسلمين لمحاربة

دولة إسلامية والاعتداء عليها لكان ذلك مرفوضاً ديناً وخلقاً لكنها لم تقبل ذلك ولا تستطيع ان تقوله . . وأعلنت ان وجود قوات أجنبية ليس إلا للدفاع عن الأرض والحماية للعرض) .

ولو استبعدنا قضية (العرض) لأن أمريكا لاتفهم هذا المصطلح . . ويشير الضحك لدى الأمريكيين باعتباره من مظاهر تخلفنا . لو استبعدنا قيام أمريكا بحماية العرض فإن د . عبد الغفار يرفض أن تشن أمريكا عدواناً على العراق . . باعتباره مخالفاً لتعاليم الإسلام . . وله جزيل الشكر على هذا ، ولكن لو قررت أمريكا شن هجوم عسكري . . هل يمكن للسلطات السعودية ان توقف القرار ؟

الحقيقة ان السلطات الأمريكية مترددة في اتخاذ قرار الحرب . . وفقاً لحساباتها الخاصة . . وحسابات مصالحها في المنطقة والعالم . . وليس لأنها تأتمر بأوامر سعودية ! ثم ألا يشكل الحصار البحري والجوى بقوات أمريكية درجة من درجات الحرب لمحاصرة وتجويع الشعب العراقي المسلم . . واستناداً للقواعد الأمريكية في السعودية والخليج . وفي النهاية فإن كل متابع للسياسة يعلم أن قرار الحرب إذا اتخذ فسيؤخذ في واشنطن ولندن وباريس وموسكو وليس في جدة أو الرياض .

ويمكن ساعتئذ ان تدعى القوات الأمريكية ان الجيش العراقي هو الذي بدأ . . كما فعلت اسرائيل عام ١٩٦٧ .

والغريب ان د . محمد سليم العوا يقول في (الوفد) « ان هناك تضخيماً لمسألة القوة العسكرية الأجنبية باعتبار أنها كانت موجودة وواقعة دائماً » . . فلو انها كانت موجودة دائماً هل أصبح ذلك واقعاً يجب ان نقبله . وهل صحيح انه لا يوجد فرق بين وجود قواعد عسكرية قليلة أو بعض قطع أسطول . . وبين هذا الحشد الرهيب من القوات الذي لا مثيل له منذ الحرب العالمية الثانية . . ان التحرك العسكري الأمريكي ضخم بالفعل ولا يحتاج إلى أي تضخيم من أحد . . وهل يمكن تصور ان هذه القوة لن تؤدّم السياسة الأمريكية في المنطقة . . ولماذا إذن لا ينزعج المسلمون ؟ وهل

صحيح كما تقول (ان غدر الشقيق أبعد اذاءً من انتهازية العدو المتربص)
وكأنك تضع خطر الشقيق العراقي فوق خطر الغزو الأمريكى . . وكيف
يمكن أن نضبط هذا الرأى بمعايير وأحكام الشريعة السالفة الذكر .!!؟
من السبب الرئيسى فى جلب هذه القوات ؟

يقول (علماء السلطة) ان العراق هو سبب مجيء القوات الأجنبية . .
وبالتالى فإنه سبب البلاء . . ونحن نقول نعم ان غزو الكويت كان
السبب . . ولكن بمعنى الذريعة والحجة . . فقوات الانتشار السريع معدة
منذ اواخر السبعينات للتدخل واحتلال حقول النفط . . وان هذه القوات
عندما تأتى فإنها تأتى فى اطار أهدافها ومخططاتها . . وهى السيطرة على نفط
الخليج واخضاع المنطقة لهيمنتها . . وضرب القوة العسكرية الاسلامية
والعربية ممثلة فى العراق ثم فى ايران . فالولايات المتحدة لم تترك هذه المنطقة
للاحتمالات أو للصدف فقد سلحت شاه ايران لحماية الخليج وبعد سقوطه
فى عام ١٩٧٩ تأمرت لاشعال الحرب العراقية الايرانية لتضرب الثورة
الاسلامية فى ايران بمساعدة كل دول الخليج . وأيضاً لتضرب القوتين
العراقية والايرانية بعضها ببعض حيث انها لاتأمن جانب أى منها . وعندما
انتهت الحرب تصورت أمريكا لأول وهلة أن القوتين الكبيرتين خرجتا
مدمرتين وفى حاجة إلى فترة طويلة من التعمير . . إلا أن العراق لم يتخل عن
خطته فى دعم قوته العسكرية وكذلك الأمر بالنسبة لايران (حصلت مؤخراً
على طائرات ميج ٢٩) . وكانت أمريكا مستعدة للقيام بدور مباشر فى
حراسة الخليج وهذا ما أكدته بوش ووزير دفاعه فى مارس الماضى عندما تقدما
بميزانية حرب كبيرة . . ولما اعترض الكونجرس على ذلك وبالاخص بعد
الوفاق مع السوفيت أكد بوش ان الجيش الأمريكى لديه مهام كبرى وفى
مقدمتها احتمال القيام بأعمال عسكرية فى الخليج (أعلن ذلك فى مارس
١٩٩٠) .

وبدأت الولايات المتحدة والغرب فى محاصرة العراق لمنع من مواصلة
عمليات تطويره العسكرية والتكنولوجية . وبدا واضحاً ان العراق يعمل
خارج السيطرة الأمريكية . . وكان لابد من تحجيمه ومحاصرته . . وعملية

غزو الكويت أثبتت ان العراق لا يعمل في إطار التوجهات الامريكية ، وإنه خرج من حرب الثمانية أعوام أكثر استعداداً للنشاط في المنطقة بالمقارنة مع ايران . . والولايات المتحدة لا تسمح بأى تحركات في المنطقة تكون بعيدة عن السيطرة . . خاصة بعد ضياع ايران الشاه ، وبالتالي فإن مجيء القوات الأمريكية كان مقررًا بهذه الصورة أو تلك .

وقد يقول البعض ان صدام حسين قد أخطأ لأنه أتاح الفرصة للامريكيين ان ينفذوا أهدافهم . . وحتى لو كان هذا صحيحاً . . فإنه لا يبرر تشجيع أو تأييد احتلال الامريكيين للمنطقة . لانه يأتي في إطار مخططاتهم الاستعمارية هم . . وليس في إطار تطبيق أحكام الشريعة الخاصة بمقاتلة الباغى !!

نحن مسئولون أمام الله عن حماية أراضينا ومقدساتنا . . وعندما يحاسبنا الله . . لن نقول لله عز وجل إن صدام حسين هو السبب ! كل استعمار وله سبب مباشر أو ذريعة . . ولكنه لا يسقط فريضة الجهاد ضد هذا الاستعمار . . أما الذين قد يكونون السبب في مجيئه . . فحسابهم بعد اجلاء القوات الأجنبية الغازية .

ان قضية من السبب ؟ أصبحت في ذمة المؤرخين . . أما نحن الذين سندفع ثمن هذا التواجد الغربى المكثف على أرضنا . . فنحن الذين سندفع الثمن . وليس صدام حسين . . نحن الذين سندفع الثمن من استقلالنا وكرامتنا . . والأمثلة لاحصر لها في التاريخ . . فعبر كل الغزوات الصليبية . . كانت الشعوب تتصالح مع حكامها . . حتى تتم منازل الغزاة . . وبعد دحرهم . . يأتي الحساب الداخلى . . ان لقاء اللوم على النظام العراقى لا يغير من أمر وجود هذه القوات الأجنبية التى تعلن انها جاءت لتبقى . . ولسنوات . . ثم بدأت تطرح فكرة الحلف العسكرى الدائم فى المنطقة . . فهل سنوافق أيضاً على الحلف العسكرى بحجة ان صدام حسين هو السبب ؟ ! إنه هروب من تبعات الغزو الاستعمارى الجديد الذى جاء بمحض ارادته ولن يجلو إلا رغماً عن أنفه وعبر جهاد مقدس

شرس . . لعل فصوله الأولى قد بدأت بالتحركات الشعبية في كل مكان من المحيط الى الخليج . .

تقول الكاتبة السعودية سهيلة حماد ان السعودية ليست في حالة حرب مع انجلترا وأمريكا الأمر الذي يميز شرعاً الاستعانة بقواتها . .

هذه بالتحديد هي الطامة الكبرى . . فالوضع الطبيعي ان تكون دولة الجزيرة العربية في حالة حرب مع الأب الروحي والمادى لإسرائيل التي تحتل القدس وتهدد باحتلال مكة والمدينة وفقاً لخريطة إسرائيل الكبرى . . انها الطامة الكبرى ياسيدتى . . ان السعودية لم تشارك بصورة عسكرية جديدة ضد إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن . . وبالتالي لم تجد نفسها في حالة حرب مع أمريكا . . ان أمريكا هي العدو الأول للشعب العربي المسلم بمساندتها المطلقة لإسرائيل ولولا وقوف أمريكا خلف إسرائيل لهزمت شر هزيمة في حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . ولتم تحرير الجولان والقدس . . وأمريكا هي التي تدعم استمرار احتلال إسرائيل للضفة وغزة وجنوب لبنان . .

إنه كما يقال عذر أقبح من ذنب . . ويأتى من أين ؟ من موطن رسول الله . . البقعة التي انبثت منها الدعوة الإسلامية . . وكانت موطناً للجهاد . . وأخرجت المجاهدين الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها . . فهل نحن أمام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه (جاء الاسلام غريباً وسيعود غريباً فطوى للغرباء) .

أصبح الجهاد غريباً في منبت الدعوة . . وأصبح التنكر للجهاد حجة لاستدعاء الأعداء . . الذين أصبحوا أصدقاء . . وذلك رغم ان عدد سكان المملكة يمثل ثلاثة أو أربعة أمثال عدد سكان إسرائيل . . وامكانياتها المادية أضعاف أضعاف ميزانية إسرائيل . . ان عدم وجود حالة حرب بين السعودية . . واسرائيل وأمريكا هو الطامة الكبرى ياسيدتى . .

ولو كانت السعودية وباقي الدول العربية تواصل الجهاد ضد الصهاينة ما كان هناك أى موضع للنزاعات الداخلية بين الدويلات والامارات العربية ،

وبدلاً من أن نفيق من الصدمة لنتجه إلى الحق إذا بنا نلقى بأنفسنا في أحضان الأعداء (لأننا لسنا في حالة حرب معهم) !

الاستعانة بسلاح الكفار . .

د . عبد الغفار عزيز يعقد مقارنة غير مقبولة حين يقارن بين الموافقة على وجود نصف مليون جندي أمريكي . . وبين شراء الاسلحة من الكفار . . فما وجه المقارنة بين عملية بيع وشراء . . لسلاح يستخدمه جيش مسلم . . وبين استدعاء جيش أمريكي يتبع القيادة الامريكية . . إن هذا ليس استعانة بسلاح انه استعانة بارادة قتالية وسياسية مرتبطة بالمصالح التي يمثلها هذا الجيش الأمريكي . . لا وجه للمقارنة ياسيدى الدكتور بين الحالتين . . والفرق بينهما واضح وضوح الشمس .

ويقول البعض لو انسحب العراق من الكويت ، ثم لم يخرج الامريكان نعلن الجهاد المقدس ضد الامريكيين . . وهذا نوع من خداع النفس . . فهل يثق أصحاب هذا الرأي في أمريكا . . وهل من المنطقي ان نعطي شرعية للقوات الأجنبية وبعد ان تتمركز في بلادنا نعلن الجهاد المقدس ضدها . . ان في هذا قلباً للأمور . . ولو كانوا أمناء مع أنفسهم . . حتى لو كانوا لا يثقون في صدام حسين مثقال ذرة . . فإن الواجب يحتم عليهم المطالبة بالانسحاب المتزامن . . إنها ليست قضية صدام حسين . . والقوات الامريكية جاءت بقرارها هي - وبنية البقاء . . وبنية تدمير القوة العربية .

ان الذين اعترضوا على احتلال الكويت لا يجب ان يطالبوا الآن بالانسحاب عراقى إلا إذا كان متزامنا مع انسحاب القوات الامريكية . . وإلا فإنهم يعطون أفضلية سياسية عسكرية لهذه القوات التي لا تأتمر بأوامرهم ولا بأوامر الحكام العرب .

ليس الأمر كما يقول خالد محمد خالد الذى يكرر الشئ لبوش وجورباتشوف وتاتشر (ان القوات الأجنبية سينهى وجودها لا محالة انهاء الاحتلال العراقى للكويت) من أين أتيت بكل هذه الثقة بالأمريكان . .

وبناء على أى ممارسات سابقة لهم . . وهم يعدون بدفع حركة السلام لتحرير الأرض المحتلة منذ ٢٣ عاماً . . !!

وبعد ان خط المشيب رأسك مازلت مخدوعاً بالأمريكان . . انها حالة لايرجى لها شفاء . أما الأمريكيون فهم صرحاء ويقولون إننا باقون .

وقد وافقنا فى رأى الذى نذهب إليه البيان الذى أصدره عدد من العلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين ونشر فى الأهرام بتاريخ ٢١/٨/١٩٩٠ . . جاء فيه بالحرف . . (انه إذا كانت جريمة احتلال الكويت وتغيير نظامها بالقوة والحقاها بالعراق قسراً هى منكر شديداً تنبغى مقاومته وتغييره باليد والقلب واللسان فان هذه المقاومة وذلك التغيير ينبغى أن يظل دائماً وأبداً أعمالاً عربية وإسلامية خالصة ، لأن موالاته الأجنبية واللجوء الى تدخله وخاصة إذا كان سجله حافلاً بالتنكر للسافر لحقوقنا والعدوان المستمر على مصالحنا . والكبل بكيلين مختلفين فى تعامله مع قضايانا وفى مقدمتها قضية فلسطين ، هو لجوء إلى منكر لا يقل شراً ولا خطراً وارساء لسابقة من شأنها ان تفتح الأبواب واسعة أمام المزيد من التدخل الأجنبى فى شئوننا ، بما يهدد الأمل فى إقامة نظام عربى مستقل تحركه ارادات عربية وبوجهه الحرص على المصالح العربية .

إننا ننبه إلى أن التدخل الأجنبى فى شئوننا يستهدف - أولاً وأخيراً - حماية المصالح الأجنبية ولو أدى ذلك إلى تحطيم قوة كل الشعوب العربية ومنها شعب العراق الشقيق .

وكان فى مقدمة الموقعين على هذا البيان الشيخ محمد الغزالى ود . يوسف القرضاوى .

الحكام أدرى بشئوننا !!

مفتى الديار المصرية . . سيد طنطاوى . . لاينفرد بفتوى واحدة لتبرير سياسات الحكام . . وفى هذه المرة يقول . .

(لأولياء الأمور فى الدولة الإسلامية ان يستعينوا بغير المسلمين ، إذ

الضرورات تبيح المحظورات ، كما أنه من المقرر شرعاً ان الضرورة تقدر بقدرها . . والذين يقدرون هذه الضرورة وحدودها ، هم أولو الأمر في كل أمة ، إذ هم أعرف الناس بما ينفع أمتهم وما يضرهم) .

وهكذا كفى الله العلماء « شر » الافتاء !! فالحكام أدري؟! أى حكام هم هؤلاء ياسيدى المفتى . . وما علاقتهم بتطبيق شريعة الله . . حتى تعطى لهم شيكاً على بياض !! ثم لماذا تؤيد ماليس لك به علم؟! إذا كان الحكام يحترمون حقاً العلماء . . لأخذوا برأيهم قبل اتخاذ أخطر القرارات أو حتى أصغرها . . ولأشركوا العلماء معهم في تقدير « الضرورات » التى تبيح « المحرمات » . .

وماذا ستقول لله يوم الحساب؟! ستقول لقد فوضت الحكام ان يقدروا الضرورة . . حقاً إذا كان الحكام العرب يعرضون كل كبيرة وصغيرة على الأمريكان ولا يعرضونها على العلماء . . فكيف للعلماء ان يثقوا بأولى الأمر؟! ويوالوا اصدار بيانات التأييد لهم .

القوات الأمريكية معاهدة :

ويقول شيخنا الجليل شيخ الأزهر (الذى كانت له وقفة رائعة في قضية الربا) ان القوات الأمريكية قوات معاهدة ! جاءت لرد العدوان ورفع الظلم ، وهكذا فإن الأزهر الذى تصدى بالكلمة والفتوى والسلاح والمظاهرات والعصيان للغزو البونابرتى . . وصل به الحال في زمن التردى ان يصف اعداء الأمة بالمعاهدين . . أى الذين يوجد ميثاق بينهم بين المسلمين (بمعنى معاهدة عدم اعتداء بالمصطلحات الحديثة) .

والميثاق أو المعاهدة التى نعرفها هى معاهدة الدفاع الاستراتيجى بين أمريكا واسرائيل . . فهل اختلط الأمر على مشيخة الأزهر فخلطت بين السعودية واسرائيل؟!

ياشيخنا الجليل يقول الله عز وجل (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) صدق الله العظيم . . فإسرائيل أخرجت

المسلمين من ديارهم . . وظهرت أمريكا إسرائيل على اخراجهم ويوماً بعد يوم ترتكب المذابح على أعتاب المسجد الأقصى . . ومنذ مدة قصيرة سقط في لحظة واحدة ٢٣ شهيداً مسلماً وألف جريح في مذبحة داخل المسجد الأقصى . . وخطة تهويد القدس تسيرُ على قدم وساق بتمويل أمريكي - وسلاح أمريكي - وبمساندة الفيتو الأمريكي في مجلس الأمن ، متى كانت أمريكا ترد العدوان والظلم ؟! هل يتخلى الأزهر عن مهمة تبصير المسلمين بأعدائهم الحقيقيين ؟!! .

أن أمريكا هي العدو الأول للإسلام . . وهي تقود الحلف الأطلسي الغربي . . وتحالف مع السوفيت في محاربة العالم الإسلامي . . وهي التي تعطل أو تحاول تعطيل تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف البلدان الإسلامية التابعة لها والتي تأكل من معونتها كثر من هذه المعونة المشينة .

سلاح التكفير :

لم يبق سوى سلاح التكفير . . تكفير حكام العراق . . ووصف صدام بأبرهة الحبشة . . ونحن من المعارضين لفكر حزب البعث العلماني . . ولكننا نرفض استسهال اللجوء لسلاح التكفير . . لأن التكفير سلاح ذو حدين وينقلب على مستخدميه . . لأن معظم الحكام العرب علمانيون ، ولا يطبقون الشريعة الإسلامية . .

وإذا استخدم « الكبار » سلاح التكفير - وقد استخدموه من قبل ضد الإمام الخميني وحكام إيران . . فلا ينزعجوا بعد ذلك عندما يتحرك بعض الشباب في مصر وغيرها . . تحت شعار التكفير . . فلا داعي اذن لفتح هذا الباب . . باب الفتنة ، لتبرير استقدام القوات الأجنبية .

كلمات الحق :

وأخيراً فإن كلمات الحق تظهر وسط تصريحات التأييد . . يقول الشيخ الشعراوي في أخبار اليوم ١٨/٨/١٩٩٠ . .

(إننا تركنا الأمور تتداعى وتتدنى الى نقطة تدخل عندها الأجنبي . . واعتمدنا على قانون المنظمات الدولية حيث ارتضى كل طرف ان يعيش في

كنف القوانين الوضعية بعيداً عن قانون السماء ، ولو نجح المسلمون وأخلصوا دينهم لله في جلسة القمة الطارئة التي عقدت بالقاهرة . . ما تدخل الأجنبي) . .

وهنا نجد الاتهام عاماً لمختلف الاطراف التي ارتضت القوانين الوضعية . . وتحمل مختلف الأطراف مسئولية مجيء الأجنبي .

اننا حقاً أمام أخطر غزوة صليبية في تاريخ الإسلام . . وليس هذا محاولة للتقليل من أهمية مشكلة الكويت . . إننا أمام حملة تستهدف السيطرة على مقدراتنا من المحيط إلى الخليج وتحصل على شرعية من عدد من الدول العربية والإسلامية . . . وان الجهاد المقدس أصبح فرض عين . . على كل مسلمة ومسلمة . . لتحرير أمتنا الإسلامية من الغزاة الصهاينة في فلسطين . . والأمريكان في جزيرة العرب والخليج . . أما أوضاعنا الداخلية كعرب وكمسلمين فهو شأننا الخاص . . ونتمنى في خضم الجهاد ان نتجاوز خلافات الحدود . . والحقوق القومية التاريخية . . إلى توحيد الأمة الاسلامية في دولة واحدة بإذن الله . .

ويبقى بعد ذلك ان ننتقل الى مهمة رد العدوان عن السيرة النبوية الشريفة . . والذي تمثل في تشويه السيرة . . وتقديم انتصار الدعوة الاسلامية على انه تم بمناصرة المشركين . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هل تقرّ السيرة النبوية الاستعانة بالمشرّكين ضد المسلمين !!؟

لم يجد علماء السلطان في الدستور القرآنى . . أى آية كريمة أو ظل آية . . يشير إلى جواز الاستعانة بالمشرّكين . . فلجأوا للافتئات على السيرة النبوية الشريفة . . وعلى أحكام السنة المكرمة . . ليجدوا فيها بعض الأمثلة . . أو الروايات يؤولونها بما يخدم قرارات البيت الأبيض الأمريكى وبعض الحكام العرب . والمغالطة الجوهرية ان كل ما اعتصرته ذاكرتهم من روايات لاتتعلق بالاستعانة بمشرّكين ضد مسلمين . . ولكنها استعانة لمصلحة المسلمين عامة أو فى جهادهم ضد مشركين آخرين لنشر الدعوة . . وبالطبع لن نجد فى السيرة النبوية الشريفة أى حرب ضد مسلمين !!! ويا أسفاه على من باع علمه للسلطان أو للبترول دولار . .

وقبل أن نورد الأمثلة التى احتجوا بها من السنة النبوية الشريفة نبدأ بعدد من الضوابط . . التى يجب ان تحكم تفكيرنا . .

ان قضية الاستعانة بمشرك مسألة عامة ولا يجب ان تطلق على عواهنها وإنما تتم - إن هى جرت وفقاً للسنة الشريفة بناء على عدد من الضوابط . .

١ - استعانة محدودة . . فى مهمة عملية . . قائمة على أساس المصلحة . . أو بأسلوب الاستئجار .

٢ - تتم على أساس السيطرة الكاملة للطرف المسلم وبما لايتعارض مع مصلحة الاسلام والمسلمين ،

٣ - التفرقة الواضحة والقاطعة بين غير المسلمين الذين يعيشون فى مجتمع الاسلام ويرتضونه ولا يحاربونه ويكتسبون بذلك حق المواطنة . . وبين غير المسلمين فى دار الحرب :

فبالنسبة لهؤلاء الآخرين فإن ضوابط الاستعانة أشد وأقسى . . وهى لا تخرج عن حالتين . .

١ - حالة الاستعانة الفردية (على طريقة الاستعانة بخبير أجنبى للضرورة ويقدر هذه الضرورة) .

٢ - حالة عقد ميثاق مع أى قوم من غير المسلمين (معاهدة عدم اعتداء) وهى أقرب إلى الحالة السلبية وإن تضمنت أحيانا المساهمة فى القتال ضد جماعة أخرى من المشركين . ولنبدأ باكتشاف ان ما ورد فى السنة النبوية الشريفة كان منضبطاً بكل هذه القواعد . ولتأكد من الظلم المتمثل فى الاستعانة ببعض روايات السيرة لتبرير الاجتياح الأمريكى والغربى لأرض المقدسات . وسنكتفى ببعض الأمثلة القليلة . .

الهجرة إلى الحبشة :

من المؤسف ان تتم مقارنة بين الاجتياح الأمريكى بنصف مليون جندى للأراضى العربية . . بلجوء عشرات من المسلمين الى النجاشى ملك الحبشة .

ماهو وجه المقارنة بين النجاشى وبوش ؟! وما هو وجه المقارنة بين قدوم قوات مسلحة تتحكم فى مصائر المسلمين ، وبين لجوء سياسى عند ملك نصرانى عادل ! اتقوا الله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو خرجتم إلى أرض الحبشة إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه) .

وعندما سمع النجاشى لآيات القرآن من المهاجرين إليه بكى حتى اخضلت (ابتلت) لحيته وبكت أساقفته ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

وفىما بعد ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم موت النجاشى صلى الله عليه واستغفر له . ولا ندرى ماهو وجه المقارنة بين حكم النجاشى . . وحكم بوش ، بين من يحمى المسلمين المهاجرين ويرفض تسليمهم للمشركين . .

وبين السلطة التي تحارب الاسلام في عقر داره . . ما هذا الافتئات على السنة . . والسيرة العطرة . . ما هذه الاستهانة ؟! وما هذا البيع الرخيص لجواهر السنة مقابل الحياة الدنيا ؟!!!

وما علاقة هذا المثال بالاستعانة بأكبر قوة مسلحة أمريكية ضد فريق من المسلمين في القرن العشرين . . قوة تعمل تحت قيادة مادية تأتي لتحقيق مصالحها . . ولا تعمل تحت إمرة من يدعون انهم استدعواهم .

توجه الرسول إلى أهل الطائف :

ومما يؤسف له إشارة علماء السلطة إلى توجه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أهل الطائف المشركين كي يستجير بهم من مشركي مكة . . ومرة أخرى نفس التزييف ولوى عنق الحقائق . . فالرسول عليه الصلاة والسلام ذهب إلى أهل الطائف كي يدعوهم للإسلام وبالتالي يحتّم ويتقوى بهم من جراء ذلك . . أى من جراء تحويلهم إلى الإسلام . .

ولم يلجأ إليهم كمشركين طالباً منهم الأمان !

جاء في سيرة أبي هشام :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ورجاء ان يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل . واجتمع مع سادة ثقيف وأشرفها فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام .

فلقى الرسول منهم ما كره فقال دعاءه الشهير :

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمرى . . .) .

وكان سادة ثقيف قد أغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة . . الخ

بهكذا فلم تكن استعانة ولكن دعوة إلى سبيل الله . . والقوم صدوا عن سبيل الله . . فما وجه المقارنة رحمكم الله ؟!

عدي بن عدي يجير الرسول :

وما وجه المقارنة بين دخول الرسول عليه الصلاة والسلام في جيرة مطعم بن عدي المشرك حماية له من مشركي مكة وبين اجتياح مئات الألوف من قوات المشركين لأرض نجد والحجاز . . ما الذي جرى لشيخنا متولى الشعراوى حتى يورد هذا المثال ؟!

والحقيقة إن إجارة مطعم بن عدي لم تصلح كقاعدة لانتشار الدعوة ، فما هي إلا أيام . . وأذن الله للرسول بالهجرة من مكة بأسرها (البداية والنهاية . ابن كثير) .

نحن أمام استعانة محدودة بمشرك لا يحارب الإسلام ولا شخص الرسول ضد مشركين آخرين يحاربون الإسلام وشخص الرسول عليه الصلاة والسلام . . وقد استمر هذا لبضعة أيام .

لقد تعلمنا في الفقه أن للقياس أصولاً . . تقوم على التشابه والتماثل في الوقائع . . التماثل - مثلاً - بين واقعة حدثت في عهد الرسول وتصرف فيها أو حكم بحكم معين . . وبين واقعة مستجدة تندرج تحت نفس النوع . . نأين التماثل بين هاتين الواقعتين ؟!

الاستعانة بدليل مشرك :

ونفس الشيء ينطبق على مثال استعانة الرسول بدليل مشرك في رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة . فهنا نجد نوعاً من الاستئجار لمشرك واحد في مهمة محددة ومؤقتة . وهذا قد يساعدنا في أن نحل الاستعانة بمشرك في البحث عن البترول . . أو غيرها من المهام العملية التي تحتاج لخبير لا يوجد مثله بين المسلمين . . وهو استئجار في مهمة عملية تحت السيطرة لاضرر منها على الإسلام في شيء بل فيه كل الفائدة .

صحيفة المدينة :

وهكذا نجد الاستنادات متهاقطة من زاوية صلتها بالذى يجرى الآن على أرض الجزيرة العربية ومع ذلك نواصل .

صحيفة المدينة مع اليهود ، بمثابة دستور لدولة المدينة . . وهو دستور رائع من زاوية تحديد المواطنة فى الدولة الاسلامية . . فى مجال المساواة فى الحقوق المدنية والالتزامات الامنية والدفاعية للرعايا اليهود داخل المدينة . وقد ظل الرسول على عهده معهم حتى نكثوا هم العهد فكان طرد القبائل اليهودية تباعاً من المدينة حتى تطهرت منهم .

وبالتالى فنحن ازاء قضية أخرى غير الاستعانة برعايا بل جيوش دولة أجنبية معادية ، وينطبق نفس الشئ على التحالفات التى أقامها الرسول (ﷺ) ومن بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع بعض القبائل النصرانية التى ارتضت المشاركة فى قتال مشركى مكة أو الفرس أو الرومان . مع ملاحظة انها كانت تحالفات اضافية للقلب الرئيسى من جيش المسلمين . . ولم يكن المسلمون كماله عدد أو غطاء كما هو الحال الآن فى جزيرة العرب . . ومرة أخرى (وربما للمرة العاشرة) نؤكد انها كانت بمثابة توسيع للتحالف بمعاهدات مع بعض القبائل تحت السيطرة وضد المشركين . . لاضد المسلمين !!

ولذلك كانت هذه الاستعانة فى مراحل متقدمة من الدعوة بعد ان تم تأليف جيش كبير من المسلمين المجاهدين . وبالتالى فإن المعارك الأولى لم تشهد مشاركة أى واحد من غير المسلمين . . ونقصد بذلك غزوتى بدر وأحد .

نقرأ فى صحيح مسلم الباب التالى . .

[كراهة الاستعانة فى الغزو بكافر] . .

(. . .) عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة (موضع على نحو أربعة أميال من المدينة) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاتبعك وأصيب معك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك قالت ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة ادركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة قال فارجع فلن استعين بمشرك قال ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله قال نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق .

وننتقل بعد ذلك إلى كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني لنقرأ فيه هذا الباب :

[باب الاستعانة بأهل الشرك] . .

(ولا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك (لاحظ) على أهل الشرك إذا كان حكم الاسلام هو الظاهر عليهما) .

أى إننا أمام شرطين مترابطين غير متحققين فى حالتنا (مأساتنا المعاصرة) . .

الأول : الاستعانة ضد أهل شرك آخرين . .

الثانى : ان يتم ذلك تحت السيطرة التامة والكاملة للمسلمين بحيث لاينقلب الأمر عليهم . وتفقد الاستعانة مغزاها وهذفها .

(فقد استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم بيهود بنى قينقاع على بنى قريظة ، وخرج صفوان وهو مشرك مع رسول الله فى غزوتى حنين والطائف) .

ولكننا نلاحظ مرة أخرى ان غزوتى بدر وأحد لم يسمح فيهما الرسول عليه الصلاة والسلام بأى مشاركة من غير المؤمنين . وقد أشرنا إلى غزوة بدر من قبل . . أما فى يوم أحد . . فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى كتيبة حسناء قال : من هؤلاء ؟ فقليل : يهود بنى فلان ، حلفاء ابن أبى فقال : « إنا لا نستعين بمن ليس على ديننا » .

وروى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رده (أى ابن أبى) حين عرض عليه ان يخرج فيقاتل معه فقال : لا ، إنا لانستعين بمشرك . وإنما كره ذلك لأنه كان معه سبعمائة من يهود بنى قينقاع من حلفائه ، فخشى أن يكونوا على المسلمين إن أحسوا بهم زلة قدم ، فلهذا ردهم .

وهكذا فإن الاستعانة الجزئية والمحدودة لم تحدث إلا بعد انشاء القلب الاساسى من جيش المجاهدين المسلمين . . وهى نوع من التحالفات التى تضيف بعض القوة المادية . . أو تحيدها . . وهى من الدروس السياسية الفنية للسيرة النبوية الشريفة التى أعطتنا دروساً لانتشار الدعوة وانتصارها بقوانين الصراع السياسى والاجتماعى التى سنها الله للبشر (من طبيعتهم التى فطرهم عليها) ، دون أن تعتمد على المعجزات غير القابلة للتحليل وأخذ الدروس والعظات للمستقبل .

ومرة أخرى هى استعانة بمشرك ضد مشرك ! وتحت السيطرة الكاملة السياسية والعسكرية والغلبة العددية للمسلمين . وما يؤسف له ان يتم تغيب عقل المسلمين بتجاهل هذه المقارنة الأمانة فينقل « علماء » دين مثال صفوان وهو شخص واحد لتبرير الاستعانة بنصف مليون جندى أمريكى (استحيوا من الله ان لم تستحيوا من البشر) ! ويتم التغاضى عن غرض الاستعانة ضد من ؟ مسلمين أم مشركين ؟ وكأن هذا من التفاصيل التى يمكن اسقاطها . . كيف نأمنكم على شرح القرآن والسنة بعد ذلك ؟ !

دار الاسلام . . دار الحرب . . دار العهد . .

فى زمن التبعية وسقوط دولة الخلافة الإسلامية اختلطت المفاهيم . . وأصر « علماء » (السلطان) على اصدار الفتاوى والآراء وفقاً للأمر الواقع . . الذى ضاعت فيه الحدود بين العوالم الثلاثة التى حددها القرآن . . وسار على دربها الفقه الاسلامى العظيم . . فحدود العالم الاسلامى لم تعد معروفة . . وهو بدون سلطة شرعية أو دولة . . وقد تمزق إلى أجزاء تم ضمها إلى دول أخرى كالجumonيات الآسيوية التابعة الآن للاتحاد السوفيتى . وإلى أجزاء أخرى أخذت شكل الدول الشاحبة الممزقة

(حوالى ٤٠ دولة) يتبع أغلبها مراكز السلطة في معسكر الافرنج (الغرب الاستعماري) في إطار من التبعية الجديدة . .

ومع غياب الهوية أو الأصل (دار الاسلام) لم يعد بالامكان تحديد دار العهد . . ولا دار الحرب واختلط الحابل بالنابل . . بل قد أصبح لبعض الاقليات المسلمة حقوق في ممارسة الدعوة وانشاء الاحزاب الاسلامية (انجلترا - اسبانيا - الاتحاد السوفيتي) ، وهى حقوق لم تستطع بعد ان تنتزعها الاغليات الاسلامية في موطن الاسلام الأصلي حيث مازالت الأحزاب الاسلامية محرمة . . وكثير من حقوق وحرية نشر الدعوة الاسلامية مقيدة .

ومن واجب العلماء ان يواجهوا هذا الاختلاط . . وان يدفعوا في اتجاه الحق . . وهو اعادة الاعتبار للهوية الاسلامية ، واستعادة دولة الخلافة الاسلامية . . وربط آرائهم وفتواهم . . بهذا الواجب أو الفريضة الاساسية لكل مسلم حسن الاسلام . . يفهم دينه . . ويفهم غايته .

ولاستجلاء هذه المعانى الاساسية حول (دار الحرب . . والاسلام والعهد) نعود للدراسة القيمة لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله (العلاقات الدولية في الإسلام) لنقرأ فيها :

دار الإسلام :

هى الدولة التى يحكمها سلطان المسلمين ، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين ، وهذه الدار يجب على المسلمين الذود عنها ، والجهاد دونها فرض كفاية إذا لم يدخل العدو الديار ، فإن دخل ، كان الجهاد فرض عين عليهم ، كل بمقدار طاقته ، وكل دولة تكون الأكثرية فيها مسلمين تعتبر دار إسلام ، ولو غلب عليها غير مسلم (كما يحدث في بعض البلاد الافريقية) .

دار الحرب :

ان دار الحرب هى الدار التى لا يكون فيها السلطان والمنعة للحاكم

المسلم ولا يكون بينهم وبين المسلمين عهد يحدد العلاقة بينهم وبينهم ، ويؤمن فيه الاعتداء على المسلمين . إلا أن بعض الفقهاء يضيف إلى ذلك ضرورة قيام هذه الديار بمحاربة المسلمين حرباً صريحة حتى تستحق أن تسمى دار حرب .

ويلاحظ أن دار المحاربين فعلاً دار حرب بإجماع الفقهاء .

دار العهد :

ويقصد بها القبائل والدول التي لا تخضع للمسلمين . . ولكنها لاتعاديهم . . ويتم ترتيب نوع من العهد والميثاق بينها وبين المسلمين (أو ما نسميه في العصر الحديث معاهدة عدم اعتداء) ولذلك فهي تسمى أيضاً دار موادة . . ويمكن أن تتجاوز معاهدة عدم الاعتداء إلى (اتفاقيات تجارية واقتصادية) كما حدث في عهد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) من صلح مع أهل النوبة .

والبحوث الفقهية في هذا المجال واسعة وكثيرة وقد كانت لنا دولة يحرص فقهاؤها (أو القانونيون والدستوريون بلغة العصر) على تحديد علاقاتها بالعالم الخارجي . . أما الآن وقد أصاب أمتنا ما أصابها فلم نعد نسمع بتلك البحوث والاهتمامات . .

وما يهمننا في هذا المجال إذا كانت بلادنا هي دار الاسلام باعتبار أنها تقطنها أغلبية ساحقة إسلامية (وبغض النظر عن رفضنا للأطر القانونية والسياسية والدستورية المستوردة التي مازالت تحكمنا) فهل يصعب على انسان مخلص لدينه أن يحدد موقع الولايات المتحدة من هذه العوالم الثلاث . . وهل يمكن أن تخرج عن عالم الحرب .

في أحد اللقاءات رد على أحد الأخوة معتبراً أن الحاكم العربى قد عقد اتفاقاً مع الولايات المتحدة وبالتالي أصبحت دولة عهد وميثاق . . وهذا نوع (والعياذ بالله) من خداع الله سبحانه وتعالى . . وتحريف الكلم عن مواضعه وهم « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم » .

إن أهل الميثاق لن يحدد لهم مزاج أى حاكم . . فإذا أصابت الخيانة أو الانتهازية أحد الحكام وعقد معاهدات مع الاسرائيليين أو الأمريكيين . . فهم لن يتحولوا بقدرة قادر وهم يعتدون على مقدسات المسلمين ويحتلون فلسطين بالمشاركة المالية والعسكرية الكاملة - لن يتحولوا إلى أهل ميثاق . . وإنما يتحول الحاكم الذى يفعل ذلك إلى مجرد ملحق بأعداء المسلمين .

فالمعيار القرآنى هو الفيصل وليس رغبات الحكام الذين خانوا الأمانة . . (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) هل اعتزلتنا أمريكا وكفت عن دعم أسوأ استعمار فى التاريخ الإسلامى كله . . أى الاستعمار الصهيونى الاستيطانى لفلسطين ولبيت المقدس ؟!

وهل استقاموا لنا . . حتى نستقيم لهم ؟!

وبوسعى أن أكتب المجلدات بل هى مكتوبة بالفعل بالآلاف حول الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط والصراع العربى - الاسرائيلى . . وعلى مدار كل العالم الاسلامى . ولاداعى إذن للاستفاضة هنا فى هذا المجال . . ولكن يكفى أن أشير بصورة عابرة إلى المساعدة العسكرية الامريكية الحاسمة التى ساعدت اسراييل على إنتاج الأسلحة النووية . . والصواريخ الحديثة . . وإذا لم تكن تلك هى المحاربة . . فبماذا تسمونها ؟! الحقيقة أننا لسنا أمام مشكلة حقائق غائبة . . بقدر مانحن أمام ضمائر غائبة !!

مرة أخرى العراق . . والكسويت :

وبعد هذه السياحة بين دفتى القرآن والسنة وآراء الفقهاء . . نعود مرة أخرى الى العراق والكويت . . هل أردنا كل ما أردناه . . دفاعاً عن النظام الحاكم فى العراق ؟! وضد الكويت المجنى عليها ؟ بالطبع لا . .

نحن نريد ان نستحضر المبادئ والقيم الاسلامية لتحاكم بها الأوضاع كلها . . لاكى ننتقى ما ندعم به وجهة نظر مسبقة لخدمة هذا الحاكم أو ذاك . . فهذا بالتحديد مادفعنى لكتابة هذه الرسالة . . عندما وجدت بعض « العلماء » يتحولون إلى خدام للسلطان . . وللطاغوت . .

لو طبقنا مبادئ الاسلام على الاحداث . . يجب ان نلاحظ مايلي :

١ - ان الخطر القياسى الأكبر هو العدوان الأمريكى والغربى . . بل والاحتلال العسكرى للسعودية وبلاد الخليج . . إنه الخطر الأكبر على كيان الأمة العربية الاسلامية ، وأكبر ضربة وإهانة . . وأكبر تهديد للمقدسات التى تعبر عن كيان الأمة وشخصيتها .

٢ - ان الاحتلال العراقى للكويت الذى فجر هذه الأزمة . . هو خلاف داخلى عربى - عربى . . اسلامى - اسلامى . . لا يجوز شرعاً إلا أن يحل داخل الاطار العربى الاسلامى .

٣ - ان تلمظ الغرب وأمريكا على بترولنا ، لايعطى لهم أى شرعية فى تحركهم هذا . . ولايجب أن يكون هذا مبرراً لحكامنا . . كى يخضعوا لهم . . لانهم بذلك يحكمون على الأمة بالتبعية الأبدية . . طالما ان البترول من حق أمريكا والغرب بصورة مطلقة . . وما نحن إلا عبيدهم . . وممرهم للحصول على البترول وإننا بلا نخوة أورجولة . . أوكرامة . . أو عقيدة . . أوحتى احترام للذات .

٤ - ان محاكمة النظام العراقى بالمعايير الاسلامية . . يجب ان تجري معها بنفس القدر محاكمة للنظام الكويتى . . أولاً . . ثم محاكمة للأنظمة العربية بأسرها ثانياً . . فنحن لانقبل من شيخ مصرى يتحدث عن تطبيق الشريعة فى العراق . . ولا يتحدث عن تطبيقها فى مصر وكذلك الأمر من المحيط إلى الخليج .

وإذا كانت لديكم الجرأة ان تحاكموا الأوضاع العربية من المنظور الاسلامى . . فلنفتح الملفات كلها من المحيط إلى الخليج . أما السير فى

ركاب بوش وتاتشر وتحويل النظام العراقي إلى شيطان ننسب إليه كل المآسى العربية . . وتحويله إلى الخطر الرئيسى بل والأوحد . . إنها هو اعطاء شهادة تبرئة للعدوان الصهيونى على فلسطين الذى لم يتحرك ضده جندى عربى واحد فى دول الجبهة منذ حرب ١٩٧٣ حتى الآن ١٩٩٠ والحقيقة انها ليست شهادة براءة . . انها تحالف عسكرى صريح ومشين مع اسرائيل من خلال القاسم المشترك (أمريكا) ! .

إن النظام العراقى - ككل الأنظمة العربية - نظام علمانى يقوم على فصل الدين عن الدولة . . وهو نظام لا يطبق الشورى . . ولا يلتزم بساير أحكام الشريعة الاسلامية كباقي الأنظمة العربية . . وقد حارب لسنوات ايران المسلمة . . ولكن بالتعاون والتأييد المطلق من كل الحلف الذى تكون الآن تحت قيادة أمريكا . .

وهو نظام لا يمتثل رأى الآخر . . وكذلك معظم الأنظمة العربية . . وهكذا فإن كل ما نأخذه على النظام العراقى - من وجهة نظر اسلامية - نأخذه على باقى الانظمة العربية . .

ولكن ماذا عن احتلال الكويت ؟ وما ارتكبه الجيش العراقى فيها ؟ !

لقد وفر على كثيرًا من الجهد ان كتابة هذه الرسالة استغرقت بعض الوقت . . اتضح خلاله ان « الفضائع » التى روجت لها وسائل الاعلام المصرية . . والغربية . . تنتمى فى معظمها إلى الأكاذيب حتى اننى قرأت للشيخ إسماعيل الشطبي من رجال الدين الكويتيين حديثاً فى مجلة المسلمون (السعودية) ينفى فيه مطلقاً حكاية (الاغتصاب) ! وقد نُشر الكثير مما أدى إلى انقشاع الضباب حول الحقائق . . وعاد كثير من المصريين إلى الكويت . . بعضهم استقر . . وبعضهم حمل كل ممتلكاته وعاد بلا مشاكل خطيرة .

وقد كنت أقول دائماً ان ما ينشر هو من المبالغات ، لأنه لا يوجد داعى لارتكاب الكثير من أعمال العنف . . لأنه لا توجد مقاومة حقيقية . . بل ان

معظم الكويتيين كانوا خارج الكويت ساعة الغزو . . أو غادروا بعده مباشرة . .

وأنا لا أقول ان ضم الكويت كان نزهة . . ولكن لاشك ان الضم انتهى خلال ساعات . . . ولم يجر خلاله ما يمكن أن يوصف بالمعارك . . . وأن انحرافات بعض الجنود يحاسبون عليها وهي مدانة ، ولا يمكن أن تُنسب إلى أوامر رسمية ، فمن المعروف أن أي قوة غازية من مصلحتها أن يستتب الأمن وبالتالي فإن لا يمكن أن توجد أي تعليمات رسمية في الجيش العراقي أو في أي جيش في العالم يحتلّ بلداً آخر تدعو إلى السرقة أو الاغتصاب أو القتل بدون مقاومة .

ان المسؤولية التي تقع على كاهل القيادة العراقية الرسمية هي بالاساس قرار الضم ذاته . . لأن تحرك الجيوش . . ليس نزهة . . ولا بد أن تنشأ عنه آلام . . باعتباره عملاً من أعمال العنف . .

فلا بد للمناقشة أن تكون على المستوى السياسي . . (شرعية قرار الضم ذاته) ، وبالتالي ما يستتبعه من آلام . . (تشريد - قتل - ارتباك اقتصادي . . الخ) ، لأن الوقائع الثابتة كالاستيلاء على البنوك . . ومخازن التموين . . الخ هي وقائع مشتقة من عملية الاحتلال والضم وبالتالي لا يمكن مناقشتها على صعيد السرقة . . لان هذا مجرد نوع من السباب . . لا يناقش المشكلة عند مستواها الحقيقي . . والشرعي (اقتتال المؤمنين) وقد شرحنا ذلك من قبل . . ان مناقشة كامل سلوك النظام العراقي . . لا بد أن تكون مرتبطة بسلوك النظام الكويتي . . وهو بدوره غير ملتزم بالشريعة . . ولا يعترف بالشورى . . ويضيف الى ذلك انه نظام كان قائماً على الربا . . ويضع كل ثروات المسلمين في بنوك اليهود الربوية . . وانه تعامل مع المسلمين غير الكويتيين بصورة متعجرفة عنصرية لا تمت الى الاسلام بصلة . . وانه نظام قام بتمويل كل أنظمة الغرب ، وقام بانعاش اقتصادياتها - بما في ذلك الدول الشيوعية . . ولم يلتفت إلا بالفئات للشعوب الإسلامية . . بما فيها بعض المواطنين الكويتيين الذين كانوا يعيشون في

المساكن الشعبية . وانه كان من أكبر المحرضين لضرب الثورة الإسلامية في إيران .

اقترح قراءة كتاب قيام وسقوط امبراطورية النفط للاستاذ / جلال كشك وبه فصل كامل بعنوان (حتى أنت ياكوويت ١٩) رغم ان الاستاذ كشك يبدو انه تنكر لكتابه الصادر عام ٨٦ بعد اندلاع أزمة الخليج لأسباب لانعرفها بالطبع ؟ . . .

وفي الأزمة الأخيرة . . وباعترافات الرئيس مبارك فإن الكويت يتحمل مسئولية بالفعل في الاضرار بمصالح العراق الحيوية ولسنا هنا في مجال التقييم الشامل ولسنا قضاة للنظاميين العراقي - والكويتي . . ونحن نسأل الله ان يجعلنا في عداد الجنود المجاهدين باخلاص من أجل رفع راية الإسلام .

ولانما فقط نشير إلى مجرد عناوين للتذكرة . . والتي تجعلنا من وجهة نظر اسلامية لانتحاز لطرف على طول الخط ضد طرف . . فهذا هو الموقف الأمريكي لا الموقف الإسلامي في هذه الأزمة . وقد أشرنا في بداية الدراسة الى أهمية الصلح . . وان قوام الصلح هو ما تتفق عليه الأطراف المعنية ، ونؤكد هنا ان الولايات المتحدة هي التي تحول دون توفير شروط هذا الصلح . .

فعندما - على سبيل المثال - يستجيب وزير الدفاع السعودي . . ليعلن امكانية توفير منفذ للعراق على الخليج باعتبار ذلك تنازلاً بين الأشقاء (الكويت - العراق) يرد عليه - وبدون أى مراعاة للبروتوكول - سفير السعودية في الولايات المتحدة لينفى كلامه . . ثم يعقب ذلك تصعيد للهجة الحرب من جديد من بوش واتباعه .

وهذا يوضح انه بدون تدخلات مغرضة من أعدائنا فإن أى شيء . . وكل شيء ممكن تسويته في الإطار العربى .

الموقف من النظام العراقى يختلف بعد الغزو الأجنبى :

ان موقف الحركة الإسلامية كان متحفظاً من النظام العراقى بل ومختلفاً ومتصادماً مع ايدولوجية حزب البعث العلمانية . . ولاشك ان الحرب مع

ايران أضافت أبعداً جديدة الى ذلك وقد اعتبرنا ان العراق مسئول عن بداية هذه الحرب . . ولكن للانصاف لابد ان نؤكد ان ايران قد ساهمت في إطالة أمد الحرب في السنوات الثلاثة أو الأربع الأخيرة برفضها وقف إطلاق النار رغم استعادة معظم الاراضى الايرانية . . وقد فتح شهيتها احتلال شبه جزيرة الفاو . . وربطت القيادة الإيرانية بين انهاء الحرب وتغيير النظام العراقى .

مع انتهاء هذه الحرب عام ١٩٨٨ . . واصل العراق اهتمامه بتطوير قدراته العسكرية . وهذا مايجب ان يحظى بتأييد كل المسلمين . . ف لأول مرة أصبحت هناك قوة صاروخية وكيمياوية توازن مالدى اسرائيل من صواريخ وقنابل ذرية . .

والمتابع للدراسات الاسرائيلية يلاحظ ان اسرائيل كانت أكثر الأطراف في العالم قلقاً من تطوير القدرات العسكرية العراقية . .

هذه القوة العسكرية العراقية المتنامية هى رصيد للمسلمين . . بلا أدنى شك . . ولا بد أن تحسب في رصيد النظام العراقى فى الأعوام ١٩٨٨ - ١٩٩٠ ، وقد فهم الغرب خطورة ذلك وبدأت حملة مقاطعة للعراق عام ١٩٨٩ لمنع وصول التكنولوجيا المتطورة إليه . . ثم بدأت محاصرته مالياً بتخفيض أسعار البترول . . ودفع دائنيه للمطالبة بأموالهم (كالكويت) لتجفيف مصادره المالية .

والعراق كان على وشك اعادة تشغيل المفاعل النووى بصورة تمكنه من إنتاج القنابل النووية . . ونذكر قصة القنبلة النووية الإسلامية فى باكستان . . وكيف كان ولا يزال المسلمون فى كل العالم يتابعونها بشغف وبغض النظر عن طبيعة الحكم فى باكستان !

وهذه هى النظرة الاستراتيجية التى يجب ان يتعلمها المسلمون وعلماء المسلمين فى مقدمتهم فعندما يكون الصراع بين المسلمين والغرب . . لابد من الانحياز للمسلمين . . ولا بد ان تتراجع الى الوراء صراعاتنا الداخلية . . أو يتم تأجيلها وترحيلها . . هذا مايفعله أعداؤنا معنا فهم فى

مواجهتنا كتلة واحدة . أما نحن فبسبب تبعيتنا . . فإننا نواصل الانقسام
بيننا العدو على الأبواب . .

ان الموقف من النظام العراقى يختلف عندما تكون المواجهة بين العراق
وقوى الشر العالمية . . التى أتت لتصفية حساباتها مع قوة المسلمين (العراق
- ايران) ، وهنا لايمكن أن أقف مع قوى الشر . . بل لايمكن أن أقف على
الحياة . . وليس هذا بالموقف الجديد . . فالحركة الإسلامية لم تكن على
الحياة فى عدوان ١٩٥٦ رغم خلافها مع النظام الناصرى . . والحركة
الإسلامية وقفت مع الأنظمة المصرية والأردنية والسورية . . ضد العدوان
الصهيونى ومع ليبيا ضد العدوان الأمريكى . . وهكذا . .

ولو عدنا إلى التاريخ الإسلامى كله . . لوجدناه على هذا المنوال . . .
فالمحكومون لم يكونوا راضين عن حكامهم . . ولكن مع غزوات الفرنجة
(التى اشتهرت باسم الحملات الصليبية) وقفت الشعوب الإسلامية وأفتى
علماء الأزهى بالقتال مع الحكام المسلمين ضد الكفار والغزاة . .

وبالتالى نحن لانقول بدعة . . ولكننا ندعو إلى موقف هو امتداد طبيعى
للموقف الإسلامى الصحيح من أى غزو خارجى . . وعندما نصد الغزاة
عن أبواب بلادنا . . يمكننا ان نرتب أوضاعنا الداخلية ونقيم اعوجاجها بناء
على مرجعنا الأساس أو الوحيد فى التقويم (شريعة الله) .

وبالنسبة لحالتنا المعاصرة فإن شعب كل قطر إسلامى هو المنوط به - من .
حيث الأساس - تقويم اعوجاج حكامه . . أما الحملات الإعلامية الرخيصة
والهابطة والمسفة فليست إلا وسيلة للحكام لتصفية الحسابات مع بعضهم
البعض دون ان تجدنا فتىلا فى الاتجاه الصحيح .

الانقسام بين الإسلامية والعلمانية :

ان الملهمات الكبرى تكشف ان انقسام الأمة وتمزقها بين العروبة
والإسلام . . أو بين تيار العلمانية والتيار الإسلامى . . هو انقسام ظاهرى
ومستورد . . وتعبير عن الاختراق الفكرى لعقل الأمة ، فعند كل خطر

حقيقى . . يدرك الجميع اننا أمة واحدة لها مصالح واحدة . . وأعداء مشتركون ، ولا نقول ذلك من موقف الحياد . . وإنما من موقف الانحياز الكامل للحل الإسلامى . .

وإنما أشير الى وقوعنا فى المصيدة الاستعمارية . . وان نتحول الى أمتين فى أمة واحدة . . أى أمة منقسمة على نفسها . . ولو تمكنا من إيجاد لغة مناسبة للتخاطب . . ولو ركزنا على تحديات الحاضر والمستقبل عوضاً عن مرارات الماضى . . فستعود الأمة للانصهار فى بوتقة واحدة ، ولو خضنا معاركنا الحقيقية . . بدلاً من الحروب الأهلية الكلامية . . فسيدرك العربى ان لامعنى لعرويته بدون الإسلام . . وسيدرك التيار الإسلامى . . ان العربيين ركزوا على بعض القضايا الوطنية الحقيقية ، وان العلمانية قشرة مستوردة وهشة ستذوب فى أتون المعارك ، ولعل مايجرى على الساحتين الفلسطينية والاردنية يقدم لنا نموذجاً مشرقاً ورائداً فى هذا المجال . . أى التحام التيارات الإسلامية والوطنية ضد الصّهيانية . . وان العلمانى (فى أغلب الأحيان) ليس إلا إنساناً مسلماً تأثر بالفكر الغربى . . ولأن الفكر الغربى قد فقد بريقه أوكاد . . فإن التحوّل التاريخى جارٍ على قدم وساق فى عقول مثقفى الأمة . . فهأهى الشيوعية تتبدد أثراً بعد عين . . أما الحضارة الرأسمالية فقد شاخت منذ زمن . . وعليها كل آثار الشيخوخة . . مهما حاولت مظاهر القوة العسكرية والتكنولوجيا ان تغطى حين على مظاهر الانهيار الروحى والاجتماعى والاقتصادى فى أعماق أعماقها . .

وبالتالى فإن كل الظروف مهيأة لهزيمة الاختراق الفكرى لأمتنا . . هزيمة ساحقة . . والوجه الآخر للعملة . . ان كل الظروف مهيأة لتوحد الأمة من جديد حول رسالة واحدة وحضارة واحدة . . رسالة الإسلام . . وحضارة الإيمان والإسلام . . ونحن إذا وضعنا نصب أعيننا هدفنا واضحاً . . التحرر من السيطرة الاسرائيلية - الأمريكية . . وتوحيد الأمة العربية الإسلامية . . ولم نحد قيد أنملة عن الجهاد فى هذا الطريق . . فإن جموع الأمة ونخبها ومثقفها ستتحّد بأغليبيتها الساحقة . . وستزول . . الحروب الأهلية الكلامية . . والعملية بين صفوفنا . . ونعود مرة أخرى . . خير أمة أخرجت

للناس . . الأمة الوسط التي هي شهيدة على كل الأمم . .

وفي هذا المجال فليتنافس المتنافسون . . ويتم الفرزين الأفراد والشعوب والأنظمة . . أما الذين يخذعون شعوبهم . . ويروجون أن مصلحة هذه الأمة . . ان تقف خلف المتاريس الأمريكية . . وفي خنادق الحلف الاطلنطي . . فهؤلاء يدعوننا إلى الانتحار . . وإلى أن ندمر أنفسنا بأيدينا . . وان نسلم قيادنا لأعدائنا . . ونخون مبادئنا وعقيدتنا . . وبأبي الله هذا ورسوله والمؤمنون . .

ان اعلامنا الرسمي الهابط . . يدعو الى حرب . . تدمر جزءاً كبيراً من الامكانيات العربية الاقتصادية والعسكرية وإلى قتل ١٠٠ ألف مواطن مسلم . . معظمهم عراقيون ومصريون . . اعلامنا الهابط يصفق لمحاصرة الشعب العراقي . . وتجويعه . . ولتدمير الاقتصاد العراقي . . والجيش العراقي . . ويستحث بوش . . على ان يضرب ضربته . . ولا أدري ما علاقة هذا بالإسلام ؟ .

ولماذا لم نجد كل هذه الحمية تجاه القدس الشريف ؟ انها أصوات مشبوهة تُريد أن تخلق للشعب المصري أى أعداء إلا اسرائيل وأمريكا . . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ونحن كمؤمنين بالله عز وجل نثق في ان للبيت رباً يحميه . . وان هذه الهجمة الشرسة التي لأمثالها في تاريخ العالم ستقلب على مدبريها ، وأن هذا المكر السيء سيرتد على أصحابه . .

ان الولايات المتحدة تخوض آخر معاركها . . كدولة عظمى . . ومهما كانت نتيجة الصراع . . فإن أمريكا ستكتسب عداء كل الشعوب العربية . . وهي إن تمكنت من توجيه ضربة مدمرة للعراق . . فهي بلاشك لاتستطيع ان تخضع المسلمين بأسرهم . . بل هي ستدفع ثمن ذلك غالباً . . لقد سيطرت الولايات المتحدة على العالم العربي دائماً لأنها كانت من وراء ستار (اسرائيل وبعض الأنظمة العربية) أما الآن فإن أمريكا

تكشف عن وجهها القبيح مباشرة . . وتعيد إلى الأذهان كل مساوئ الاستعمار التقليدى .

وكما ذبلت الامبراطورية التى كانت لاتغيب عنها الشمس (الامبراطورية البريطانية) . . فإن الامبراطورية الأمريكية لعلها تخوض آخر أكبر معاركها . . كدولة عظمى . . فعندما تحشد كل هذه القوات ولا تحقق هدفها . . وهو إخضاع كل المنطقة لمشيئتها . . فإنها ستكون - بإذن الله - قد تلقت الضربة القاصمة . . وسيبدأ العد التنازلى فى التسارع . . وسيعود مركز الحضارة إلى مكانه الطبيعى . . إلى الشرق . . الشرق الإسلامى . . والمتدين . .

﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

صدق الله العظيم

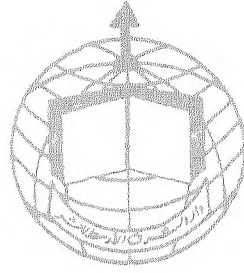
رقم الإيداع

٩٦٧٣ / ١٩٩٠

طبع بمطابع



دار الفد العربي
٣ شارع دانش - العباسية
ت ٨٢٤٣٢٩ / القاهرة



هذا الكتاب

حول أزمة الخليج التي أثارت بلبلة رهبة في أوساط أهل الفكر والرأى والعلم ، وحول الخطأ والصواب في مقدم الحشود العسكرية الغربية إلى الخليج العربى والجزيرة العربية ، والوجه الحقيقى لهذه الحشود كغزوة صليبية جديدة ، صاحبها طوفان من الإعلام المضلل الذى حاول أن يَجْمَل الوجه الكالح لهذه الغزوة .

حول ذلك كله ، وحكم الإسلام فى الاستعانة بالمشرىكين ضد المسلمين ، تدور موضوعات هذا الكتاب .

I.S.B.N

977 - 5087 - 02 - 3

دار الشرق الأوسط للنشر
١٥٣ شارع الطيران - مدينة نصر - القاهرة
ت : ٢٦٠٥٧٠٧

الغلاف بريشة: مدحت عبد السمىع